دائرة المعارف الهندية



أخبار الصين والهند

تأليف

سليمان التاجر و أبي زيد السيرافي

تحقيق وتحليل

ابراهيم خوري

كتاب الأبحاث



سلسلة أبحاث ودراسات عن تاريخ شبه القارة الهندية

دائرة المعارف الهندية



أخبار الصين والهند

تأليف

سليمان التاجر & أبي زيد السيرافي

تحقيق وتحليل

ابراهيم خوري

كتاب الأبحاث



سلسلة أبحاث ودراسات عن تاريخ شبه القارة الهندية

تصدير

الملاحة العربية قديمة جداً في بحر الهند عامة ، وفي الخليج العربي وبحر عمان والبحر الأحمر خاصة ، بدأت شاطئية ، ثم أصبحت فلكية تهتدي بالنجوم في وقت مبكر جداً من العصور التاريخية .

وثبتت مهارة العرب في هذا الفن بما اكتشف من آثار واغلة في القدم ، ومن وثائق مكتوبة باللغات السانسكريتية والبهلوية واليونانية والصينية ، وباللغة العربية أيضاً .

وتمثل مخطوطة أخبار الصين والهند احدى الوثائق العربية الأساسية ، التي دوّنت العلاقات التجارية البحرية الوثيقة بين الخليج العربي من جهة ، وبين الهند وما يليها شرقاً من بلدان كالصين واليابان من جهة اخرى ، في وقت كانت فيه الخلافة العباسية قد أوصلت دار الاسلام الى ذروة المجد الحضاري والتطور الاقتصادي والرفاه وسعة العيش .

ويعود تاريخها الى الثلث الأول (الكتاب الأول) والى الثلث الثاني (الكتاب الثاني) من القرن الثالث الهجري[1] . وهذا يعني انها كتبت بعد انتشار الفوضى في الصين وقتل التجار العرب والمسلمين في مدينة خانفو ، وبعد بدء انحطاط

---

(١) تاريخ الكتاب الأول مرقوم صراحة في النسخة الكاملة : ٢٣٧هـ ، أي في عهد المتوكل . أما الكتاب الثاني ، فالأرجح أنه حرر في البصرة ذاتها بعد ربع قرن ونيف (بين ٢٦٤هـ و٢٧٢هـ) من الكتاب الأول ، أي في أيام الخليفة المعتمد، لأن السيرافي كان آنذاك يقيم في البصرة حيث التقى بالمسعودي ، ولأن حديث الكتاب الثاني عن ثورة يانشو سنة ٢٦٤هـ يفترض انه سُطِّرَ بعدها ، ولأن نقل ابن خرداذبة في مصنف المسالك والممالك عن كتابي أخبار الصين والهند يقتضي اطلاعه على الكتابين ، وتاريخ المسالك والممالك ٢٧٢هـ .

العباسيين ، اثر ازدهار لا مثيل له . لذلك صارت السفن العربية تتعامل مع الهند وحدها ، وتصل الى ملاقة فقط ، ولا تتعداها . بالتالي ، تحكي أخبار الصين والهند قصة تراجع التجارة البحرية لجميع الأمم ، وتشرح أسبابها ، أي انها تؤكد على منعطف تاريخي في التبادل الدولي .

وفي هذه المخطوطة معطيات قيّمة عن اقتصاد سواحل بحر الهند وجزره ومساحتها والمسافات الفاصلة بينها ، وعن السلع المتبادلة بين بلدان آسية الجنوبية والشرقية وبين دار الاسلام . وفيها أيضاً معلومات وافية ودقيقة ومفصلة عن ممالك الصين والهند وأنظمتها السياسية وسكانها وأخلاقهم وتقاليدهم الاجتماعية . وتتضمن ما كان معروفاً من خصائصها الطبيعية كالحرارة والبرق والمد والجزر والرياح المحلية والاقليمية والأنهار الكبرى والجزر وحتى بعض البراكين (جبال النار) . وهذا يعني ان فوائدها جمة يجد فيها أصحاب الاختصاص ما يهمهم في زمن كان الحصول على مثل مضمونها عسيراً جداً .

ولم ينشر العالم العربي هذه المخطوطة من قبل ، ولا حلّلها أحد من الباحثين ، فجاء عمل المحقق ابراهيم خوري وطبعها ليسدا فراغاً ملحوظاً في المكتبة العربية ، ويسهما في كشف غنى التراث العربي وسبقه في شتى مجالات العلم .

والله ولي التوفيق .

دائرة المعارف الهندية
محمد سعيد الطريحي

مقدمة

لمصنف «أخبار الصين والهند» مخطوطة واحدة ، محفوظة في المكتبة الوطنية في باريس ، ضمن مجموع رقمه ٢٢٨١ ، يحوي ، اضافة اليه ، ثلاثة مؤلفات ، لا تمتّ مواضيعها بصلة ، لا الى الملاحة البحرية ، ولا الى الجغرافية التاريخية . وقد أخذ المجموع المذكور من مدينة حلب سنة ١٦٧٣ وادخل إلىٰ مكتبة كولبير في باريس ، ثم نقل منها الى مكتبة الكونت سينييلاي ، فالمكتبة الملكية ، أي الوطنية إياها حالياً .

وهو هام جداً ، يمثل ، بحد ذاته ، حتى اكتشاف سواه ، أول عمل جاد وأقدم عمل موضوعي ، باللغة العربية ، يدوّن علاقات العرب البحرية التجارية ـ العرب دون سواهم ـ بالهند والصين ، ويصف الأحوال العامة في هذين البلدين العظيمين في النصف الأول من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، أي عندما بلغت الحضارة العربية الاسلامية في الشرق أوجها ، واستقطبت أنظار العالم أجمع .

وقد أثّر هذا المصنف تأثيراً بالغاً في الأدب الجغرافي العربي ، وابان مهارة العرب في الملاحة ، فنقل عنه ، حرفياً أو بتصرف ، واستشهد به كبار الجغرافيين الكلاسيكيين ، لا سيما ابن خرداذبه ، وابن الفقيه ، وابن رسته ، والمسعودي ، وابراهيم بن وصيف شاه ، والمروزي ، والادريسي ، والقزويني ، وابن الوردي ، وغيرهم مما يطول تعداده .

وأدرك المستشرقون أو المستعربون ، الفرنسيون منهم على وجه التخصيص ، والانكليز بعدهم ، قيمة «اخبار الصين والهند» ، فَعُنُوا بها ، وترجموها الى الفرنسية والانكليزية في وقت مبكر جداً من القرن الثامن عشر . لكن برزت بينهم خلافات في الرأي ، كادت تصرف الانتباه عن جوهرها ، انصبّت على عنوان المصنف ، وكاتبه أو كاتبيه ، ومضمونه ، وانتحال الجغرافيين له ، وحجمه ، وما يتفرع عن ذلك من اجتهادات ، اثارها بتر أول النسخة الوحيدة المتوفرة للباحثين ، وما فيها من اسقاطات واضحة أحياناً وخفية أحياناً اخرى .

وأحببنا ان ندلي بدلونا بين الدلاء ، فراجعنا النص الأصلي ، وحققناه ، وحللناه ، وعلّقنا عليه وشرحناه . وعدنا الى جميع ما قيل فيه قبلنا ومحّصناه . ونحن نقدّم حصيلة تحرّينا الى الباحثين ، واثقين انهم سوف يجدون فيها ما يرضي فضولهم العلمي ، ويعرّفهم ببعض أمجادنا التراثية الخالدة .

وبالله التوفيق

ابراهيم خوري

تمهيد

أ ـ نظرة اجمالية الى مصنف اخبار الصين والهند :

ورد نص «اخبار الصين والهند» بين الورقة ٢ وجه والورقة ٥٦ وجه من مجموع باريس ، وتضمّن عنواناً عاماً في أعلى الصفحة الاولى ، هو «سلسلة التواريخ» ، وتصديراً في بضعة أسطر ، ثم ٢٢ ورقة مبتورة الأول ، وُضِعَ بآخرها «تمَّ الكتابُ الأوَّلُ . نَظَرَ في هذا الكتاب الفقيرُ محمدٌ في سنة احدى عشرة بعد الألف» (١٦٠٢م) ، ثم ٣٣ ورقة ، عنوانُها في أعلى الصفحة الكتابُ الثاني من «أخبار الصين والهند» ، وذُكِرَ في مَطلعِها صراحةً أنَّ تاريخَ الكتاب الأول سبعٌ وثلاثون ومايتان (٨٥١م) ، وجاءَ في آخرها «قُوبِلَ بالمتنسَّخِ منهُ في صفر سنة ٥٩٦ هـ/١١٩٩م» .

ويُستخلصُ من هذا الوصفِ الموجزِ الى أقصى حدّ : أولاً ـ وجود تناقض ظاهري بين عنوان «سلسلة التواريخ» من جهة وبين مضمون التصدير وعنواني الكتابين الأول والثاني اللذين يشكّلان قسمي المصنَّفِ الأساسيَّ من جهة ثانية ، ثانياً ـ ضرورة التوفيق بين التواريخ الثلاثة الواردة في المخطوطة نعني ٢٣٧هـ/٨٥١م و٥٩٦هـ/١١٩٩م ، و١٠١١هـ/١٦٠٢م .

ففيما يتعلّق بالعنوان ، يُحَتِّمُ متنُ المخطوطِ تسميةَ المصنَّفِ أخبارَ الصينِ والهندِ ، لأنَّ قسمَهُ الثاني سُمِّيَ حرفياً الكتاب الثاني من أخبار الصين والهند ، ولأنَّ قسمَهُ الأول قيلَ في آخره «تمَّ الكتابُ الأولُ» أي الكتابُ الأولُ من أخبار الصينَ والهند قياساً على القسم الثاني ، علماً أنَّ في نهاية النصف الأول من هذا الكتاب الأول عنواناً أُطلِقَ على نصفِهِ الثاني ، وهو «أخبارُ بلادِ الهندِ والصينِ أيضاً وملوكهما» . بالتالي يصبحُ العنوانُ المشتركُ للكتابين الأول والثاني : أخبار الصين والهند ، مما يستبعد العنوان الذي ابتكرَهُ الناسخُ حتماً ، أي سلسلة التواريخ . ويتأيَّدُ هذا الاستنتاجُ المنطقيُّ بما جاءَ في التصديرِ ، بصرفِ النظرِ عمّن حرّره ، وعن قيمتِهِ من ناحية جودة أو رداءَةِ تلخيصِ مُحْتَوى المصنَّفِ ، إذ يعتبرُ سلسلة التواريخِ أحَدَ أبحاثِ المخطوطِ ، لا عنواناً عاماً لأبحاثه . خلاصةُ القولِ أنَّ أخبار الصين والهند تشكِّلُ مصنَّفاً واحداً متكاملاً ، مقسَّماً قسمين ، دُعِيَا الكتاب الأول والكتاب الثاني ، يتناولان موضوعاً واحداً ، ويتبسَّطان فيه من زوايا عديدة .

أما فيما يختصُّ بالتوفيقِ بينَ التواريخ الثلاثة المنوَّهِ بها في مصنَّفِ أخبار الصين والهند ، أو على الأصح بتحديدِ دلالتِها ، فالأمرُ غيرُ عسيرٍ ، فيما يبدو . فالسنةُ ٢٣٧هـ/٨٥١م لا شكَّ فيها : فهي تعيِّنُ صراحةً ، مثلما جاءَ حرفياً على لسانِ السيرافي ، تاريخَ تأليفِ الكتاب الأول من أخبار الصين والهند . فأبو زيد يقولُ : «إنني نظرتُ في هذا الكتاب ، يعني الكتاب الأول . . فوجدتُ تاريخَ الكتابِ في سنة سبع وثلاثين ومايتين» ، أي انَّه قرأ هذا التاريخَ فيه . إلاّ أنَّ النصَّ المبتورَ ، الوحيدَ الموضوعَ بين أيدينا ، لا يحوي مثلَ هذه الإشارة . بالتالي ، لا بدَّ أن يكونَ هذا التاريخُ مذكوراً في الجزء المبتور من المخطوط ، وأنَّ السيرافي أطَّلعَ على نسخةٍ كاملةٍ تَحَدَّدَ فيها ورآه بأمِّ عينِهِ . وهذا يعني انَّ الكتابَ الثاني من أخبار الصين والهند تحرَّر في وقتٍ لاحقٍ ، لم يَرِدْ بشأنِهِ أيُّ تاريخٍ محدَّدٍ ، وينبغي استنباطُه استنباطاً إنْ أمكنَ .

لكن ذكر الكتاب الثاني ثورة يانشو (٢٦٤هـ)، اذن تحرر بعدها. كذلك، اخذ ابن خرداذبه سنة ٢٧٢هـ نصوصاً من الكتاب الاول والثاني، وهذا يعني ان الكتاب الثاني تألف قبل ٢٧٢هـ، وبالتالي تصنف بين ٢٦٤هـ و٢٧٢هـ اي بعد ثلث قرن من الكتاب الاول. اما تاريخ ٥٩٦هـ/١١٩٩م، فتاريخ المخطوطة التي نسخت عنها النسخة الباريسية، المكتوبة سنة ١٠١١هـ/١٦٠٢م.

ويُستدلُّ من هذا التسلسلِ الزمنيِّ الطويلِ أنَّ مخطوطَ أخبار الصين والهند ظلَّ يُستنسَخُ بعدَ كتابتهِ طيلةَ ثمانيةِ قرونٍ في الحدِّ الأدنى. ويستغربُ المرءُ كلَّ الاستغرابِ عدمَ العثورِ على نسخٍ اضافيةٍ منه حتى الآن، لا في حلب، ولا في الخليج، ولا في جهة اخرى من العالم العربي أو البلدان المجاورة له.

ب ـ مؤلفا مصنف أخبار الصين والهند :

ومَنْ يستعرض متنَ اخبار الصين والهند، يجدْ نَصَّين أحدهُما في الكتاب الأول والآخر في الكتاب الثاني، ظنَّ بعضُ الباحثين الاوروبيين انَّهما يسميانِ مؤلفي كلٍّ من الكتابين.

١ ـ النص الأول والجدل حوله :

وقد أتى النصُّ الأول حرفياً على الوجه التالي : «وذكرَ سليمانُ التاجرُ أنَّ بخانفو، وهو مجتمعُ التجارِ، رجلًا مسلماً يُوليهِ صاحبُ الصينِ الحكمَ بينَ المسلمين»[1]. فاعتبرَ المستشرقان ج. ت. رينو وغ. فران أنَّ سليمانَ التاجرَ ألَّفَ الكتابَ الأولَ من اخبار الصين والهند. وعارَضهما عالمُ الصينيات هنري يول، وتبنَّى عالمُ الصينيات بول بيليو رأيَهُ أيضاً.

---

(١) الأصل : صفحة ٣٥.

فممَّا قالَه يول : «يؤكِّدُ رينو أنَّ سليمانَ التاجرَ حرَّرَ النصَّ الذي يشكِّلُ متنَ الكتابِ الأولِ من مصنَّفِ أخبار الصين والهند . وقد سافرَ هذا التاجرَ عدةَ مراتٍ الى الهند والصين . لكنني لم أتوصَّلْ الى معرفةِ الأساسِ الذي بنى عليه رينو رأيَهُ . فمطلعُ المصنَّفِ مبتورٌ ، حالَ دونَ الوقوفِ على هويةِ المؤلِّفِ أو على مصادِرِ أخبارِهِ . ولم يُذْكَرْ اسمُ سليمان التاجر إلّا مرةً واحدةً . ولا يحوي الكتابُ وصفاً بالمعنى الصحيح ، يمكنُ تتبُّعُ تسلسلِهِ في سياقِ الكلامِ ، وإنْ كانت صفحاتُه الاولى ، أي ما يعادلُ ثلثَ المصنَّف تقريباً ، تتضمَّنُ عرضاً متماسكاً مقبولاً عن البحار والجزرِ الواقعةِ بينَ عُمانَ والصين ، حوى جملتين بصيغةِ المتكلِّمِ ، يُضافُ اليهما جملةٌ أو جملتانِ أخريان بصيغةِ المتكلِّمِ أيضاً في سائرِ الكتابِ الأول .»[1] ولا تختصُّ أيٌّ من تلك الجملِ بالصين إذا جازتِ الثقةُ بتدقيقي[2] ، بل تتناولُ جميعُها الهندَ وسرنديبَ والبحارَ الواقعةَ بين هذه الأرجاءِ وجزيرةِ العرب[3] . فأنا أُرَجِّحُ ، استنتاجاً ، انَّ مؤلفَ الكتاب الأول جَمَّعَ تجميعاً معطياتِ تجاربِ سفرِهِ الى الهند ، وزادَ عليها رواياتٍ زَوَّدَهُ بها آخرون ممَّن زاروا الصينَ ومنهم سليمانُ التاجرُ . لذلك أميلُ الى الاعتقادِ أنَّ رينو ، رغمَ علمِهِ الغزيرِ ، شوَّشَ الأفكارَ ولم يُوضِّحْه»[4] .

وانضمَّ بيليو الى رأي يول ، وطعنَ بوجهةِ نظرِ رينو وفرّان معاً ، فكانَ ممَّا قالَهُ : «لستُ على يقينٍ بأنَّ رينو وفرّان لم يُفرِّطا ، بلا مبرِّرٍ ، في تضخيمِ دَوْرِ سليمان التاجر . وقد مرَّ نصفُ قرنٍ على تحفُّظِ يول بهذا الشأنِ ، وأظنُّ أنَّ

---

(١) الصحيح أن الكتاب الأول يحوي إحدى عشر جملة متفرقة بصيغة المتكلم .

(٢) الصحيح أن ثلاث جمل من الإحدى عشرة تتحدث عن الصين .

(٣) لا كلام عن سرنديب بصيغة المتكلم ، بل عن عمان والكركدن وسيلا إضافة إلى البحار والهند .

(٤) هنري يول ، كاساي والطريق إليها ، المجلد الأول ، نلدلن ، ١٩٦٧ ، ص ١٢٦ .

شكوكَهُ مبنيَّةٌ على أساسٍ متينٍ . فلم يُسَمِّ أبو زيد ولا المسعودي سليمان التاجر . . . ويماثل ورودُ اسمِهِ مرةً واحدةً في أخبار الصين والهند تعبيري «يُرْوَى» أو «يُقَال» تقريباً . وهذا لا يعني البتّة أنَّ سليمان هو المؤلف . ويُسْتَغْرَبُ أصلاً أن يُعْلنَ المؤلفُ عن نفسِهِ بصيغة الغائبِ في منتصفِ عملِهِ[١] ، في حين ورَدَتْ جملٌ كثيرةٌ بصيغةِ المتكلِّمِ . . . يُضافُ الى ذلك تفكُّكُ هذا الكتاب الأول الذي يبدو مجمَّعاً من قطعٍ منفصلةٍ وأجزاء مستقلّةٍ»[٢] .

ولم يتخِذْ جان سوفاجيه موقفاً صريحاً من نقاشِ المتنازعين ، بل قالَ إنَّ رأي رينو وفرّان قُبِلَ لدى جمهرةِ العلماءِ . لكنَّه لم يعارضْ حججَ تحليلِ يول وبيليو ، ولم يؤيِّدها ، وظهرَ وكأنَّهُ يتعاطفُ معها ، وأضافَ اليها ما ظنَّه حجَّةً جديدة : فقد لاحظَ أنَّ المروزي والبيروني أشارا الى مصنَّف اخبار الصين والهند بعنوانه ، لا باسمِ سليمان التاجر ، مثلما يقضي العرفُ والعادةُ ـ في زَعْمِهِ ـ فاستخلَص أنَّ هذين العَلَمين لا يقرّانِ نسبةَ اخبار الصين والهند الى سليمان التاجر . وفي هذا المنحى خَطَلٌ صارخٌ . كذلك شوَّهَ سوفاجيه مغزى ورودِ اسمِ سليمان التجار عندَ ابن الفقيه وحَمَلَ تعبيرَ «ذَكَرَ سليمانُ التاجرُ»[٣] الواردَ في كتابِ البلدانِ على غيرِ مَحْمَلِهِ ، فأدَّاهُ بما معناه : «ويُرْوَى أنَّ سليمان التاجر» ، أي أنَّهُ جَعَلَ فعل ذَكَرَ بصيغةِ المجهول عوضاً عن صيغة المعلوم[٤] وهذا خطأٌ فاحشٌ .

---

(١) الأمثلة كثيرة على استعمال صيغة الغائب في منتصف الكتاب وفي أماكن متفرقة منه كما عند المسعودي بالذات وفي مروج الذهب .
(٢) سوفاجيه ، أخبار الصين والهند ، المدخل ، ص ١٩ روماني .
(٣) الأصل : ص ٣٥ .
(٤) سوفاجيه ، أخبار الصين والهند ، ص ١٩ روماني .

مهما يكن من أمر هذا الجدلِ شبه البيزنطي العقيمِ ، فالمُرَجَّحُ أنَّ سليمانَ التاجرَ ألَّفَ الكتابَ الأولَ من أخبار الصين والهند ، على نحو ما ذهبَ اليهِ رينو وفرّان :

(١) ـ لأنَ اسمَ سليمان التاجر وردَ صراحةً فيه ، ونَقَلَ عنهُ ابن الفقيه مقاطعَ طويلةً تعادلُ ثلثَهُ تقريباً ، نسبَها الى سليمان التاجر ، وضمَّنَها كتابَ البلدان سنة ٢٩٠هـ/٩٠٣م ، أي بعد نصف قرن من تأليف اخبار الصين والهند .

(٢) ـ ولأنَّ سليمانَ التاجرَ ، على غرارِ مصنِّفي القرون الوسطى ، كالمسعودي مثلاً في كتابِ التنبيهِ والإشراف أو مروجِ الذهب ، استعملَ صيغةَ الغائبِ أحياناً (مرة واحدة) وأعطى اسمَهُ («ذكر سليمان التاجر . . .») ثمَّ استخدمَ صيغةَ المتكلِّم في احدى عشرة فقرة ، خمسٌ منها جاءت بالمتكلِّم المفرد وستٌّ بالمتكلِّم الجمع[1] .

علاوةً على ذلك ، تبيَّنَ لنا أنَّ سليمانَ التاجرَ عربيٌّ مسلمٌ عراقيٌّ . وتتجلّى عروبتُه في مقارناتِهِ الكثيرةِ (اربع عشرة مرة) بينَ ما شاهدَهُ في الصينِ

---

(١) الأصل : ص ٣٠ : س ٣ ـ ٤ : وفي البحر سمكة ، اصطدناها . . فشققنا بطنها ، فاخرجنا . . ثم شققنا ، ص ٣٣ : س ١٨ ـ ١٩ : فلا أدري أيستقي السحاب من البحر أم كيف هذا ، ص ٣٦ : ٢ ـ ٣ : فإذا جاوزنا الجبال صرنا إلى موضع يقال له صحار عمان ، فنستعذب الماء من مسقط ، ص ٤٣ : ١٠ ـ ١١ : ولحمه حلال قد أكلناه ، ص ٥١ : ٤ : وقد رأيت من أدخل يده وأخرجها صحيحة ، ص ٥١ : ١٨ ـ ١٩ : فقد رأيت رجلاً منهم كما وصفت ، ثم انصرفت ، وعدت بعد ست عشرة سنة ، فرأيته على تلك الحال ، فتعجبت ، ص ٥١ : ١٣ ـ ١٤: لم أر أحداً غلب أحداً على مملكته ، ص ٥٤ : ١١ ـ ١٢ : ولهمساير الشجر وثمر ليس عندنا ، ٥٤ : ١٨ ـ ٤٩ ولا أعلم أحداً من الفريقين مسلماً ولا يتكلم العربية ، ص ٥٥ : ٤ : وانهار البلدين (الصين والهند) جميعاً عظام ، فيها ما هو أعظم من أنهارنا ، ٥٥ : ١١ : ولم يبلغها أحد من أصحابنا فيحكي عنهم .

والهند وبينَ ما عاينَهُ عند العرب[1] . ويثبتُ إسلامُهُ من حديثِهِ عن الكركدن ، الذي قال فيه : «ولحمُهُ حلالٌ قد أكلناهُ»[2] . وتُستخلصُ جنسيَّتهُ العراقية من كلامه عن التجار العراقيين في خانفو دونَ غيرهم ، ولا سيما من مقارنته انهار الصين والهند بدجلة والفرات في قوله : «وأنهار البلدين جميعاً عظام ، فيها ما هو أعظم من أنهارنا»[3] ، ومن تأكيدِ ابي زيد السيرافي على تردُّدِ التجَّارِ العراقيين على الهند والصينِ بقوله : «لكثرة اختلاف التجار اليها من العراق»[4] ومن حديثه عن الصين والهند حيث يقول : «ولهم ساير الشجر وثمر ليس عندنا»[5] .

٢ ـ النصُّ الثاني والتسليمُ به بلا نقاش

وجاءَ النصُّ الثاني في مستهلِّ الكتاب الثاني من أخبار الصين والهند حيثُ وردَ ما يلي :

«قال أبو زيد الحسن السيرافي : «إنَّني نظرتُ في هذا الكتاب ، يعني الكتابَ الأول ، الذي أُمِرْتُ بتأمله وإثباتِ ما وقفتُ عليه من أمرِ البحرِ وملوكِهِ

---

(١) الأصل : ص ٣٤ : ١٣ : مجتمع تجارات العرب وأهل الصين ، ص ٣٤ : ١٦ : فيبيعون في غير بلاد العرب ، ص ٣٦ : ١٤ : لا يفهمون لغة العرب ، ص ٤١ : ٤ ، ٦ ـ ٧ ملك العرب ، ص ٤١ : ١١ ـ ١٢ كما تفعل العرب ، ص ٤١ : ١٤ : ليس كسنة العرب ، ص ٤١ : ١٧ : لمحبتهم للعرب ، . . أشد حباً للعرب ، ص ٤٢ : ٤ : عدو العرب ، ٤٢ : ١١ : يحب العرب ، ص ٤٥ : ٢١ ـ ٢٢ كضريح العرب ، ص ٤٨ : ٦ : أحد من العرب ، ص ٥٤ : ٢٣ : فأما الصين فعطاؤهم كعطاء العرب ، ص ٥٥ : ٦ : أشبه بالعرب ، ص ٥٥ : ٧ : شبيه بالعرب .

(٢) الأصل : ص ٤٣ : ١٠ ـ ١١ .

(٣) الأصل : ص ٥٥ : ٤ .

(٤) الأصل : ص ٥٩ : ٦ ـ ٧ .

(٥) الأصل : ص ٥٤ : ١١ ـ ١٢ .

وأحوالِهم ، وما عرفتُه من أحاديثهم ، ممّا لم يدخلْ فيه ، فوجدتُ[1] . . . »

ولا يحتاج هذا الكلام الواضح إلى زيادة إثبات ودعم . وكل ما في الأمر أنَّ المسعودي التقى بأبي زيد في البصرةِ سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٦ م ، فزادَنا تعريفاً بهِ ، إذ قالَ : «مدينة خمدان : قال المسعودي : وأخبرني أبو زيد حسن بن يزيد السيرافي بالبصرة ـ وكانَ قَطَنها وانتقلَ من سيراف ـ وذلك في سنةِ ثلاثِ وثلاثِمايةٍ ـ وأبو زيد هذا هو ابنُ عمر بن زيد بن محمد بن مزد بن ساسياد السيرافي ـ وكان الحسن بن يزيد من أهلِ التحصيلِ والتمييزِ ـ أنّه سَألَ ابنَ الهبار»[2] .

جـ ـ دراسة مصنف أخبار الصين والهند

سبق المستشرقون الفرنسيون سائرَ العلماء بدراسةِ مصنَّف أخبار الصين والهند وترجمتهِ إلى لغتِهم . وساعدَهُم في إحراز هذا السبقِ وجودُ النسخةِ الوحيدةِ منهُ عندَهم بباريس .

١ ـ ففي عام ١٧١٨ ، اهتمَّ به القسُّ أوزيب رينودو Eusèbe Renaudot، وكان عضواً في الأكاديمية الفرنسية (أسَّسها ريشوليو سنة ١٦٣٥) ، ونسخَهُ بخطِّ يدِهِ ، وحُفِظَتْ نسختُهُ في المكتبة الوطنية برقم ٢٢٨٢ ، ونقلَهُ إلى الفرنسية ، ونشَرهُ مع تعليقاتهِ عليهِ بعنوان «أخبار الصين والهند لرحالين مسلمين ذهبا إليهما في القرن التاسع الميلادي» . وأشارَ في ترجمتِه إلى أنَّ الأصلَ موجودٌ في مكتبة الكونت سينييلاي Seignelay . وبعد خمس عشرة سنة (١٧٣٣) نُقِلَتْ ترجمتُهُ إلى اللغةِ الإنكليزيةِ . وانتُقِدَ رينودو إنتقاداً مرّاً ، واتُّهِمَ بعدمِ الدقَّةِ والخفَّةِ ، وزعمَ منتقدوهُ أنَّهُ ابتكرَ أخبارَ الصين والهند من بناتِ أفكاره . لكن ، بعدَ

---

(١) الأصل : ٥٩ : ٣ ـ ٥ .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ١ ، ص ١٦٤ ، س ١٦ ـ ٢٠ من طبعة دار الأندلس .

إنقضاءِ نصفِ قرنٍ تقريباً، نَشَرَ الأب ديغينيي De Guignes مقالاً في عددِ تشرين الثاني سنة ١٧٦٤ من مجلّةِ العلماء ، أعلنَ فيه أنَّ مخطوطَ أخبار الصين والهند يحملُ الرقم ٦٠٠٤ في مكتبة كولبير ، وأصبح مسجَّلاً برقم ٥٩٧ في المكتبة الملكية الكبرى ، وأبانَ نواحيَ الضعفِ في ترجمة رينودو بعد مقارنتها بالأصل .

٢ ـ وفي عام ١٨١١ ، قامَ لويس ماتيو لنغليس Louis- Mathieu Langlès بطبع النص العربي الكامل لأخبار الصين والهند في المطبعة الملكية . ولنغليس مستشرق شهير ، أسَّسَ معهدَ اللغات الشرقية والجمعيةَ الفرنسيةَ في باريس . إلاّ أنَّ عَمَلَهُ لم يوَّزعْ ، وبقيَ محفوظاً في مستودعات المطبعة الملكية حتى سنة ١٨٤٥ .

٣ ـ وفي عام ١٨٤٥ ، اتصلَ سيلفستر دي ساسي ، مفتِّش المطبعةِ الملكيَّةِ ، برينو ، واستمزجَهُ في تدقيقِ عَمَلِ لنغليس . فتردَّدَ هذا المستشرقُ في البدءِ ، ثم عادَ ، فأخبرَ لوبرون مديرَ المطبعةِ الملكيةِ بقبولِهِ المهمَّةَ . فنشرَ نصَّ لنغليس العربي في مجلَّدٍ من الحجمِ الصغيرِ ، وأرفقَهُ بمجلّدٍ صغير آخر تضمَّن ترجمتَه الفرنسيةَ . ومَهد لها بمدخلٍ طويلٍ ، ما تزالُ بعضُ النقاطِ فيه جيدةً . وبذَّ عملُ رينو ترجمةَ رينودو إلى حد كبير حملَ الناسَ على نسيانِهَا . مع ذلك انتقدَهُ إتيين كاترمير Etienne Quatremère وجرَّحَهُ . بالمقابل ، اعتمدَ عليه أو تعمَّقَ في تمحيصِهِ جان بول ديلوريه Jean- Paul Dulaurier وألفرد موري Alfred Maury وهنري ايليوت Henri Elliot وهنري يول وغيرهم من المستشرقين أو الباحثين .

٤ ـ وفي عام ١٩٢٢ ، نشرَ غبرييل فران ترجمةً جديدةً كاملةً لكتابي أخبار الصين والهند ، لم تحدْ عن ترجمة رينو ، لكنَّها تفوَّقَتْ عليها وعلى ترجمةِ رينودو . مع ذلك وقعَتْ فيها بعضُ سقطات أبرزها غاستون وايت Gaston Wiet وبول بيليو .

٥ ـ وفي عام ١٩٣٧، نقل سليمان ندوي الى الانكليزية بعض مقاطع من اخبار الصين والهند، ونشرها في مجلة الثقافة الاسلامية ضمن مقالة «اقوال الجغرافيين المسلمين الأوائل عن الهند».

٦ ـ وفي عام ١٩٤٨، نشر جان سوفاجيه الكتاب الأول من مصنف اخبار الصين والهند، وأرفقه بترجمة فرنسية له وحواشي وتعليقات كثيرة قيمة. ويمثل هذا العمل أفضل ما كُتب في الموضوع وأدق بحثٍ تناول القسم الأول منه.

٧ ـ وفي عام ١٩٦٧، نشر اندريه ميكيل الجزء الأول من جغرافية دار الاسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر، وعنوانه الجغرافية البشرية في الأدب العربي حتى عام ١٠٥٠. وقد ترجمناه الى اللغة العربية عام ١٩٨٣. ويتضمن هذا الكتاب تحليلاً لما سمَّاه المستشرقُ المذكور اخبار الصين والهند لمؤلف مجهول، وملحق اخبار الصين والهند لأبي زيد السيرافي. وفيه عرضٌ لوجهة نظره. ويستطيع من يحبُّ الاطلاع عليها العودة إما الى الفصل الرابع من الأصل الفرنسي، صفحة ١١٦ ـ ١٢٦، أو إلى الفصل ذاته من الترجمة العربية صفحة ٢١٠ ـ ٢٢٢.

ويدل اهتمام المستشرقين المتواصل باخبار الصين والهند على هذا النطاق الواسع على قيمته الفريدة، التي أدركها كبار الجغرافيين العرب، فعنوا بها قبل المستشرقين، وأفادوا منها في مصنفاتهم، ونقلوا الكثير عنها، فظهر أثرها واضحاً في الأدب الجغرافي العربي.

د ـ تأثير مصنف اخبار الصين والهند في الأدب الجغرافي العربي

أثر مصنف اخبار الصين والهند تأثيراً مزدوجاً في الأدب الجغرافي العربي. فمثل ظهور نمطٍ جديدٍ فيه، وزوَّد الجغرافيين بمعطياتٍ كانوا محرومين منها، فاتسعت آفاقُهم اتساعاً لم يعهدوه من قبل.

١ ـ ظهور نمطٍ جديدٍ في الأدب الجغرافي العربي

وَضَعَ العلامة الروسي اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي مصطلح «الأدب الجغرافي العربي»، وحدد مفهومه ، وأبان اهميته ، وعدَّد أنماطه في مصنف ضخم في مجلدين ، سمَّاه «تاريخ الأدب الجغرافي العربي». وتبنت الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية نقل هذا الكتاب الى اللغة العربية ، وترجم ونشر وطبع مرتين . ولم يلق طرح كراتشكوفسكي ، فيما يبدو ، أي صدى في البلدان العربية . فلا يدرَّس الأدبُ الجغرافيُّ ولا أنماطُهُ في أي من الجامعات العربية ولا حتى في المعاهد الثانوية . والأدبُ الملاحيُّ نمطٌ أو فرعٌ من الأدب الجغرافي . وإليه ينتمي مصنَّف اخبار الصين والهند . ويضمُّ هذا الأدب ما يتعلَّقُ بالبحرِ من وَصفِ جزرٍ وسواحل كانت مجهولةً واستعراضِ اكتشافها وتجارتها وطرقها البحرية وممالكها وشتَّى أوضاعها وعجائبها وما إلى ذلك . وقد تطوَّرَ مع الزمن ، وظهرت فيه تياراتٌ عديدةٌ . تخرجُ عن نطاقِ هذه العُجَالةِ .

٢ ـ نقلُ كبار الجغرافيين عن اخبار الصين والهند

واطلع كبارُ الجغرافيين الكلاسيكيين في القرنين الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين ، على النسخةِ الكاملةِ لأخبار الصين والهند ، فنقلوا عنها حرفياً أو بتصرُّفٍ ، ولم يَكُنِ النقلُ معيباً أو مستقبحاً آنذاك ، بل يعتبر الأخذ عن مصنَّفٍ مشهورٍ أو عن حجةٍ أو ثقةٍ ، إحدى وسائل زيادة قيمة الكتاب الجديد .

وممَّن افادوا من اخبار الصين والهند ، ابن خرداذبه (المتوفى سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م) مؤلف كتاب المسالك والممالك في نسخة اولى سنة ٢٣٢هـ/٨٤٦م ونسخة ثانية معدَّلة حوالي سنة ٢٧٢هـ/٨٨٥م. ومن يرجع الى بعض المواضيع يلاحظ وجود شبه محدود أحياناً وكبيرٍ أحياناً أخرى بينها وبين

أخبار الصين والهند مما يدفع الى الاعتقاد أنها نقلت بعض أفكارها بتصرف لاسيما ما يلي :

ألقاب ملوك العالم (ص ٦٦)، والمسافة الى المشرق في البحر (ص ٣٥ وما يليها)، وجزيرة سرنديب (ص ٣١)، وجزيرة الرامني وجبل الفضة (ص ٣٣)، وجزيرة اللنجبالوس وجزيرة كله (ص ٣٢ و ٣٦) ، وملوك الهند ووصف الكركدن (ص ٤١ ـ ٤٣) ، وملوك الزابج والطريق الى الصين (ص ٧٠ وما يليها) ، والمد والجزر وبلاد سيلا (ص ٦٩) .

ومنهم أيضاً ابن الفقيه الذي ألَّف حوالي ٢٩٠هـ/٩٠٣م موسوعة كتاب البلدان ، التي وصلنا منها مختصرٌ فقط لخص في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي . ومن ينظر فيه يجد أنَّه نقل حرفياً أو حرفياً تقريباً عن الكتاب الأول من اخبار الصين والهند ، ما يعادل نصفه أي ما يساوي عشر صفحات من الحجم الكبير ، خاصة من الصفحة ٢٩ إلى الصفحة ٤٧ من الأصل . وعلى نقيضِ ابن خرداذبه الذي أغفل تسمية الكتاب أو المؤلف الذي أفاد منه ، يقول ابن الفقيه إنه أخذ عن سليمان التاجر بعض أبحاثه . وأهمُّ المواضيع المنقولة لباسُ أهل الصين وغذاؤهم وثمار أرضهم وبعض عاداتهم . والعلاقات التجارية البحرية بين العرب والصين ، وبعضُ التنظيمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ومقارنة بلاد الصين ببلاد الهند من نواحي عديدة . وكلها واردة في المختصر من الصفحة ٧ إلى الصفحة ١٨ . ويحتج بعض الباحثين بابن الفقيه في نسبة الكتاب الأول من اخبار الصين والهند الى سليمان التاجر .

وابنُ رسته (المتوفى حوالي ٢٩٠هـ/٩٠٣م) مشهورٌ بموسوعته المسمَّاة الأعلاق النفيسة التي وصلنا منها الجزء السابع فقط . وفيه صفة بلاد الهند التي تتخللها بعض الجمل والأفكار التي يصعب إرجاعها إلى مصنف أخبار الصين

والهند أو إلى من نقلوا عنه . لذلك نشكُّ أنَّه نقل من الكتاب السابق أو ممّن نقلوا عنه ، مثلما ظنَّ بعض المستشرقين .

أما المسعوديُّ ، وهو موسوعيٌّ مشهورٌ متوفى سنة ٣٥٥ أو ٣٥٦هـ/٩٥٦ - ٩٥٧م) ورحالةٌ لا يستقر ، فقد صنف كتباً كثيرةً ، منها مروج الذهب ومعادن الجوهر وكتاب العجائب ، وفيهما ما ورد في الكتابين الأول والثاني من مصنف اخبار الصين والهند كاملاً تقريباً ، حتى إنَّ بعض المستشرقين مثل كاترمير لم يترددوا باعتباره أحدَ تصانيفه . ورفضت جمهرةُ العلماء هذا الغلوّ في الرأي وبدت مقتنعة أن المسعودي حصل على نسخة من اخبار الصين والهند عند لقائه بأبي زيد السيرافي في البصرة سنة ٣٠٣هـ/٩١٥ - ٩١٦م أو بعدها بقليل ، فاستساغه ونقل أفكاره حرفياً أو بصياغة جديدة في مروج الذهب وفي كتاب العجائب على وجه التخصيص . ويرجَّح أن نقل المسعودي سوف يزداد وضوحاً ودقة متى نشر باقي المعروف من كتبه . مهما يكن ، في مروج الذهب وكتاب العجائب وحدهما فيضٌ من الفقرات المأخوذة عن أخبار الصين والهند ، نوجزها فيما يلي :

ففي الجزء الأول من مروج الذهب ، طبعة دار الأندلس ، توزع أفكار الكتابين الأول والثاني من أخبار الصين والهند على ٢٤ صفحة من الصفحة ١٥٥ الى الصفحة ١٩٧ :

(١) - فمن الكتاب الأول ، نقل وصف بحري لاروي وهركند ، وذكر الجزائر الواقعة بينهما كالديبجات والرامني ولنجبالوس واندمان ، والسحاب الابيض ، ومملكة بلهرا وملك الطاقي ومملكة دهرم . ويعثر على متفرقات أخرى في أماكن أخرى مثل وفاة ملك سرنديب (ص ٩٩ في المروج).

(٢) - ومن الكتاب الثاني ، أخذ التزويج من عادات الصين ، ونشوب ثورة يانشو وسيطرتها والاستنجاد بملك التغزغز ، وخلاف التاجر الخراساني وخصي

ملك الصين ، ورحلة ابن وهب وما دار بينه وبين ملك الصين عن انتصار العرب على العجم ، وعن صور الأنبياء وعمر الدنيا ووصف مدينة خمدان ، وحذاقة أهل الصين في النقش والصناعة وسرد قصة العصفور والسنبلة ، والحديث عن العنبر واللؤلؤ ومملكة الزابج ومسك الظباء وتصنيف ملوك العالم ، وصنم المولتان . وينتثر غير ذلك في أماكن اخرى مثل مقامرة اهل سرنديب باصابعهم (٤٢٦ من المروج).

ويحوي مخطوط كتاب العجائب (رقم ٩٠١ في المكتبة الملكية) بعد الورقة ١٢ ، عدة صفحات منقولة عن اخبار الصين والهند . ويشير المسعودي نفسه أيضاً إلى إيراده تفاصيل أوفى عن هذه المواضيع في كتابيه اخبار الزمان والكتاب الأوسط (ص ١٩٧ ، س ٩ - ١١) .

ومن شاء ان يطلع علي مزيد من النقل عند مؤلفي العصور اللاحقة ، يمكنه العودة إلى مصنفات ابراهيم بن وصيف شاه ، والبيروني والمروزي ، والادريسي نفسه ، والقزويني ، وابن الوردي وغيرهم . والأمر ليس عسيراً ، إذ تكفي مقارنة النصوص ببعضها . وبذا نصل إلى تحليل مصنف أخبار الصين والهند .

هـ - تحليل وتقويم مصنف أخبار الصين والهند

قُسِّم مصنف اخبار الصين والهند الى كتابين ، ألف الأول منهما سليمان التاجر وحرَّر الثاني أبو زيد حسن السيرافي .

١ - ملخص الكتاب الأول من أخبار الصين والهند لسليمان التاجر .

ولا نعرف عن سليمان سوى أنه تاجر عربي مسلم من العراق ، أسفاره كثيرةٌ إلى الهند والصين ، مثلما يستخلص من قوله : «فقد رأيت رجلًا منهم كما وصفت ، ثم انصرفت ، وعدتُ بعد ست عشرة سنة ، فرأيته على تلك الحال ،

فتعجبت». وقد أكسبه تردده على البلدين السابقين خلال ستة عشر عاماً ، في الحدِّ الأدنى ، خبرة واسعة في الذهاب إليهما ، والإياب منهما ، ونقل التجارات بينهما وبين العراق أو بلدان الخليج أو الجنوب العربي ، وفي نظامهما السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، هما ، والممالك القائمة بينهما وبين الخليج العربي .

ويتصف اسلوبه بالبساطة والرصانة والرزانة ، ووضوح الفكر ودقة التعبير ، والابتعاد عن التنميق والمبالغة والخيال الجامح ، والامتناع عن سرد الغرائب والعجاب إلا في القليل النادر جداً ، كما في خبر السمك الكبير والصغير والطيار وغرائب الطريق البحرية من سيراف الى خانفو .

ويعتمد على ما شاهده شخصياً خلال اسفاره المتكررة ، ولا ينقل إطلاقاً أحاديث الاخباريين أو البحارة ، وقد أحصينا له في جميع كتابه خمس جملٍ استعمل فيها فعل يُقالُ بالمجهول تحفُّظاً : هي عند اعطائه عدد الجزر الواقعة بين بحري لاروي وهركند (ص ٣٢ - ٣٣) ، وعند ذكره سعة جزيرة الرامني بالفراسخ (ص ٣٢ : ٦)، وعند نعته أهل جزائر الديبجات بالمهارة (ص ٣١ : ٧)، وعند اشارته الى قدم آدم في جزيرة سرنديب (ص ٣١ : ١٧)، والى وجود معدَن الفضة في جبال تنتصب بين جزر اندمان (ص ٣٣ : ٦) . ووردت في نصِّهِ خمسُ جملٍ أخرى يروي الخبرَ فيها نقلاً عن أصدقائه التجار الذين يذهبون سوية إلى الهند والصين . ويغلب فيها استخدامه فعل ذُكر بصيغة المجهول أو ذكروا ، منها قوله عن جزائر سيلا : «ولم يبلغها أحدٌ من اصحابنا فيحكي عنهم» (ص ٥٥ : ١١)، وحديثه عن حجب نساء لنجبالوس عن انظار الغرباء (ص ٣٦ : ١٦) ، وعن السودان العراة في جزيرة ملجان (ص ٣٩ : ٤)، وعن السمك الطيار (ص ٣٩ : ٨) ، وعن جبل النار (ص ٣٩ : ١٣). وفيما عدا ذلك ، يتحدث بصيغة المتكلم ، ويغرف من بحر تجاربه ، مما يدفعنا الى الاعتقاد

بأنَّ نسخة الكتاب الأول الأصلية أضخم بكثير من القسم المبتور الواصل إلينا .

ويتضمن الكتاب الأول عشر فقراتٍ رئيسة تتناول الأبحاث التالية :

(١) بحر لاروي وبحر هركند في الفقرتين ١و٢ مع ذكر الجزائر الكبرى والسحاب والرياح الشمالية الشرقية والأمواج العاتية .

(٢) العلاقات التجارية البحرية بين العرب والصين في الفقرات ٣، ٤، ٥، ٦ مع استعراض مراحل الطريق البحرية من سيراف الى خانفو ، والمد والجزر ولباس الصين وغذائها وثمارها .

(٣) ممالك الهند الرئيسة والصغيرة في الفقرة ٧.

(٤) التنظيمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الصين في الفقرة ٨، وتشمل المدن والعملة والتعليم وجباية الضرايب ، وتوزيع الأدوية وضمان الشيخوخة .

(٥) بعض تقاليد الهند في الفقرة ٩، كالتقاضي ووفاة ملك سرنديب وزهاد الهند .

(٦) تباين التقاليد بين الهند والصين في الفقرة ١٠، خاصة اعتلاء العرش ، والزواج ، والسرقة ، والمنازل وتعدد الزوجات ، والطعام ، وعبادة الأصنام والحبس ، والقضاء ، وقطاع الطرق ، والبددة ، والطهارة .

٢ ـ ملخص الكتاب الثاني من أخبار الصين والهند لأبي زيد السيرافي .

ألَّفَ سليمانُ التاجر الكتاب الأول من أخبار الصين والهند سنة ٢٣٧ هـ/٨٥١ م ، أي عندما كانت الصين تنعم بالازدهار في عهد سلالة تنغ (٦١٨ ـ ٩٠٧ م/ ٣ هـ ـ ٢٩٥ هـ) وتقيم علاقات تجارية بحرية نشيطة مع العراق ، يتولاها التجار العراقيون القاطنون في خانفو واسطولها التجاري الذي كانت سفنه تصل الى عمان وسيراف وتحمَّلُ بالسلع العربية .

ونشبت ثورةُ النابغ يانشو (٢٦٤ هـ/٨٧٨ م) (هوانغ شو) في الصين ، ونجحت ثم قمعها ملك التغزغز ، وعاد الامبراطور الى تسلم مقاليد السلطة اسمياً إلى أن حكمت الصين فعلياً خمس سلالات (٩٠٧م/٢٩٥ هـ - ٩٥٩م/٣٤٩هـ) ، فعمت الفوضى السياسية والاقتصادية والأمنية ، وقتل فيمن قتل التجار العراقيون والنواخذة العرب المستقرون في خانفو ، فأصبح وصول العرب إليها نادراً جداً ، وبرزت أهمية مملكة الزابج و«جزيرة كله ، وهي المنصف بين أراضي الصين وأرض العرب . . والجهاز من عمان في هذا الوقت إليها ، ومنها إلى عمان ،واقع» [1] . وهذا يعني ان مركز تبادل السلع ، انتقل من خانفو إلى شبه جزيرة ملاقة .

ويتحدَّثُ أبو زيد السيرافي عن الأحداث السابقة وعن «تغيُّر أمر الصين عما كان عليه» [2] ، مما يدلُّ على انه ألف الكتاب الثاني من أخبار الصين والهند قبيل حكم السلالات الخمس ، أي في الثلث الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي . وفي عام ٣٠٣ هـ/ ٩١٥ - ٩١٦م ، التقى المسعودي بأبي زيد السيرافي في البصرة ، وسمع منه خبر رحلة ابن هبار ، يقصد ابن وهب من ولد هبار بن الأسود ، الى الصين .

وقد عرَّفَ المسعوديُّ بنسب أبي زيد السيرافي ، فقال إنَّهُ ابو زيد الحسن بن يزيد بن عمر بن زيد بن محمد بن مزد بن ساسياد ، وإنَّ أصلهُ من سيراف ، لكنه غادَرَها الى البصرة واستقرَّ فيها قبل عام ٣٠٣هـ/ ٩١٥-٩١٦م . ووصفه بأنَّهُ من «أهل التحصيل والتمييز» . اذن لم يكن السيرافي تاجراً ولا بحَّاراً ، بل أحد أهل العلم المتتبعين شؤونه ممن يميزون الغث والثمين . وقد كلَّفَتهُ سلطةٌ عليا بنقد الكتاب الأول من أخبار الصين والهند والتعليق عليه

---

(١) الاصل : ص ٢٣: ١٦ - ١٩.

(٢) الاصل : ص ٢٧: س ١٤.

وإضافة ما ينبغي إضافته إليه . وهذا ما فعله . ومن هنا جاء تحرير الكتاب الثاني .

ويحوي هذا الكتاب إحدى عشرة فقرة رئيسة تتضمن ما يلي :

(١) الثناء على الكتاب الأول في الفقرة ١١ لما جاء فيه من حقائق وصدق في المضمون .

(٢) والحديث عن نجاح ثورة يانشو في الصين ثم اخماد ملك التغزغز لها ، وعن بعض شؤون الصين في الفقرات ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، مثل العملة والبيوت وخدم الملوك ومهارة الصينيين في النقش والصناعة .

(٣) رحلة ابن وهب الى الصين في الفقرة ١٦ ، وتفصيل ما دار بينه وبين امبراطور الصين عن انتصار العرب على العجم ، وصور الأنبياء وعمر الدنيا ووصف مدينة خمدان .

(٤) والتعريف بمملكة الزابج وسرد قصة الحرب بين ملكها وملك القمار في الفقرتين ١٧ و١٨ .

(٥) والعودة الى اخبار الصين في الفقرة ١٩ ، وذكر خلاف تاجر خراساني وخصي ملك الصين ، ثم تعيين قاضي القضاة وشرح مسك الظباء .

(٦) ونبذا عن الهند في الفقرة ٢٠ ، تصف حرق ملوك الهند وحاشيتهم ، وجزيرة سرنديب والبراهمة ، والبيكرجيين ، وصنم المولتان . وتبرز قيام عباد الهند بغرس النارجيل الذي يبني العمانيون منه السفن في أماكن زراعته .

وتختتم الفقرة ٢١ الكتاب بوصف بلاد الزنج وجزيرة سقطرة وساحل جزيرة العرب في الجنوب وفي بحر القلزم ، وتتحدث عن سفر مراكب سيراف الى جدة ، وتقارن بحر القلزم ببحر الهند والصين ، وتتعرض الى شرح العنبر واللؤلؤ والى عادات ملوك الهند في الزينة والطعام .

أخبار الصين والهند

تصدير

هذا كتابٌ فيه سلسلةُ التواريخِ ، والبلادُ ، والبحورُ ، وأنواعُ الأسماك . وفيه علمُ الفلك ، وعجايبُ الدنيا ، وقياسُ البلدان ، والمعمورُ منها ، والوحشُ ، وعجايبُ ، وغيرُ ذلك .

وهو كتابٌ نفيسٌ في بابِ البحرِ[1] الذي بينَ بلاد الهندِ والسندِ ، وغوز وماغوز[2] ، وجبل قاف ، وبلاد سرنديب ، و [في] فتحِ أبي حبيش ، وهو الرجلُ الذي عَاشَ من العمر مايتين وخمسين سنةً ، وكانَ في بعضِ السنين نزلَ في الماغوز[3] ، فرأى أبو حبيش الحكيم السوَّاح ، فأتى به إلى البحر ، وأراه سمكَهُ[4] .

---

(١) الأصل : نفيس باب في البحر .

(٢) المقصود : جوج وماجوج .

(٣) المقصود : ماجوج .

(٤) الأصل : ورواه سمكه . وردت هذه الأسطر في مطلع المخطوطة . لذلك سميناها تصديراً . وقد تكون من المؤلف . لكنّنا نرجّح أنّها من ناسخ النسخة المنقول عنها أو من ناسخ النسخة الحالية أو من المسمّى محمد الذي ذيّل الكتاب الأول بالجملة التالية : «نظر في هذا الكتاب الفقير محمد في سنة احدى عشرة بعد الألف ، أحسن الله عاقبتها وما بعدها ، آمين» .

الكتاب الأول

مــن

أخبار الصين والهند

. . . .

[١ - البحر الثاني بحر لاروي] (٥)

. . . .

مثل الشراع . وربَّما رفعَ رأسَهُ ، فتراهُ كالشيءِ العظيمِ . وربَّما نفخَ الماءَ من فيه . فيكونُ كالمنارة العظيمة* . فإذا سكنَ البحرُ ، اجتمعَ السمكُ ، فحواهُ بذنبهِ . ثم يفتحُ فَمهُ ، فيُرَى السمكُ في جوفهِ يغوصُ كأنَّهُ يغوصُ(٦) في

---

(٥) اسقاط الحديث عن البحر الأول وعن غيره قبل هذا العنوان ، واسقاط قسم كبير من الكلام عن البحر الثاني .

★ تعني اشارة النجمة ان اللفظ مشروح في آخر الكتاب .

(٦) الأصل : يغيص كأنه يغيص .

بئرٍ . والمراكبُ التي تكونُ في البحر تخافُه . فهم يضربونَ بالليلِ بنواقيس* مثل نواقيس النصارى ، مخافةَ أنْ يتكىءَ على المركبِ فيغرقُهُ .

وفي هذا البحر سمكةٌ ، اصطدناها ، يكونُ طولُها عشرين ذراعاً . فشققنا بطنَها ، فأخرجنا منها أيضاً سمكةً من جنسها . ثم شققنا بطنَ الثانية ، فإذا في بطنها مثلُها . وكل هذا حيٌّ يضطربُ ، يشبهُ بعضه بعضاً في الصورة . ولهذا السمكِ الكبيرِ ، الذي يُدعى البالَ(7) ، مع عظمِ خَلْقِهِ ، سمكةٌ تدعى اللُّشَكْ* ، طولُها قدرُ ذراع . فإذا طغَتِ السمكةُ [الكبيرةُ] وبغَتْ ، وآذتِ السمكَ في البحر ، سُلِّطَتْ عليها هذه السكمةُ الصغيرةُ ، فصارَتْ في أصل أذنِهَا ، ولا تفارقُها حتى تقتلَها . وتلتزقُ بالمركبِ ، فلا تقربُ المركبَ هذه السمكةُ الكبيرةُ ، مَرْقاً* من الصغيرةِ .

وفي هذا البحرِ أيضاً سمكةٌ ، يحكي وجهُها وجهَ الأنسان ، تطيرُ فوق الماء . واسمُ هذا السمك الميج* . وسمكٌ آخرُ من تحتِ الماء يرصدُه ، حتى إذا سقطَ ابتلعَهُ . ويسمّى هذا السمكُ العنَقتوس* . والسمكُ كلهُ يأكلُ بعضُهُ بعضاً .

[٢ ـ البحر الثالث بحر هركند]

[آ ـ جزائر الديبجات وسرنديب بين بحر لاروي وبحر هركند]

والبحرُ الثالثُ بحرُ هركند* . بينَهُ وبينَ بحرِ لاروي(8) جزائرُ كثيرةٌ ، يقالُ إنَّها ألف وتسع ماية جزيرة . وهي فِرْقٌ* ما بين هذين البحريي لا روي(8)

---

(7) الأصل : الوال . والتصويب من كتاب الحيوان تأليف عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، ١٥٧/٣ ، ٣٦٢/٥ ، ١٠٦/٧ ، ١٠٩ .

(8) الأصل : دلا روى .

وهركند . وهذه الجزائر تملكُها امرأةٌ . ويقعُ في هذه الجزائرِ عنبرٌ عظيمُ القَدْرِ ، فتقعُ القطعةُ مثل البيت[9] ونحوه . وهذا عنبرٌ ينبتُ في قعر البحر نباتاً . فإذا اشتدَّ هيجانُ البحر ، قذفَهُ من قعرِهِ مثل الفطر والكمأة . وهذه الجزائرُ الي تملكُها المرأةُ عامرةٌ بنخلِ النارجيلِ . وبُعدُ ما بين الجزيرة والجزيرة فرسخان . وثلثةٌ ، وأربعةٌ ، وكلُّها عامرةٌ بالناسِ والنارجيلِ . وما لُهم الودعُ . وهذه الملكةُ تذّخرُ* الودعَ في خزائنِهَا . ويُقَالُ إنَّ أهلَ هذه الجزائر[10] ، لا يكونُ أصنعَ منهم ، حتى إنَّهم يعملون القميصَ مفروغاً منهُ نسجاً بالكمَّين ، والدخريصين* ، والجيب . ويبنون السفنَ والبيوتَ ، ويعملون سايرَ الأعمال على هذا النسقِ من الصنعةِ . والودعُ يأتيهم على وجهِ الماءِ ، وفيه روحٌ . فتؤخذُ سعفةٌ من سعفِ النارجيل ، فتُطَّرَحُ على وجهِ الماءِ ، يتعلّقُ فيها الودعُ . وهم يدعونَهُ الكستج[11] .*

وآخرُ هذه الجزاير سرنديبُ* في بحر هركند . وهي رأسُ هذه الجزاير كلِّها . وهم يدعونَها الديبجات*[12] . وبسرنديب منها ، مغاصُ اللؤلؤ .* وبحرُها كلهُ حولَها . وفي أرضِها جبلٌ يدعى الرَّهُونَ ، وعليه هَبَطَ آدمُ ، عليه السلام ، وقَدَمُهُ في صفا رأسِ هذا الجبلِ منغمسةٌ في الحجر ، في رأس هذا الجبل قدماً واحدةً . ويقالُ إنَّهُ ، عليه السلام ، خطا خطوةً أخرى في البحر . ويقالُ إنَّ هذه القدمَ التي على رأسِ الجبلِ نحوٌ من سبعين ذراعاً . وحولَ هذا الجبل معدنُ* الجوهرِ ، الياقوت الأحمر والأصفر والأسمانجوني . وفي هذه الجزيرة ملكان .* وهي جزيرةٌ عظيمةٌ ، عريضةٌ فيها العود ، والذهب ،

---

(٩) الأصل : النبت .

(١٠) الأصل : الجزيرة .

(١١) الأصل : الكبتح .

(١٢) الأصل : الدبيجات .

والجوهر . وفي بحرها اللؤلؤ ، والشنك * . وهو هذا البوق الذي ينفخ فيه ، مما يدَّخرونه .

[ب ـ جزائر بحر هركند : الرامني ، النيان ، لنجبالوس ، اندمان ، جبال الفضة]

وفي هذا البحر ، إذا ركب إلى سرنديب ، جزاير ليست بالكثيرة ، غير أنها واسعة لا تضبط . منها جزيرة يقال لها الرامني* ، فيها عدة ملوك ، وسعتها يقال ثمانماية أو تسعماية فرسخ . ومعادن [كافور] تدعى فنصور* ، يكون الكافور الجيد منها .

ولهذه الجزاير جزاير تليها ، منها جزيرة يقال لها النيان* ، لهم ذهب كثير وأكلهم النارجيل ، وبه يتأدّمون ، ويدهنون . وإذا أرادَ أحدٌ منهم أنَ يتزوَّجَ ، لم يُزَوَّجْ إلاّ بقحف رأس رجل من أعدائهم . فإذا قتل اثنين ، زوج اثنتين . وكذلك إذا قتلَ خمسين ، زُوِّجَ خمسين امرأة بخمسين قحفاً . وسببُ ذلك أنَّ أعداءَهم كثرٌ(١٣) . فمن أقدم على القتلِ أكثرَ ، كانت رغبتهم فيه أوفرَ . وفي هذه الجزيرة ـ أعني الرامني ـ فيلةٌ كثيرةٌ ، وفيها البَقَّمُ والخيزرانُ . وفيها قومٌ يأكلونَ الناسَ . وهي تشرُع* على بحرينِ : هَرْكَنْد وسَلاهِط*(١٤) .

وبعد هذا ، جزاير تَدعى لنجبالوس* . وفيها خلقٌ كثير عراةٌ ، الرجالُ منهم والنساءُ ، غير أنَّ على عورة المرأة ورقاً من ورق الشجر . فإذا مرّتْ بهم المراكبُ ، جاؤوا إليها بالقوارب الصغار والكبار ، وبايعوا أهلَها العنبرَ والنارجيلَ بالحديدِ ، وما يحتاجونَ إليه من كسوة ، لأنّه لاحرَّ عندهم ولا بردَ .

ومن وراء هؤلاء ، جزيرتان ، بينَهما بحرٌ ، يقالُ لهما اندمان . وأهلُهما يأكلون الناسَ احياءً . وهم سودٌ ، مفلفلُو الشعور ، مناكير الوجوه والأعين ،

---

(١٣) الأصل : كثير .

(١٤) الأصل : شلاهط .

طوالُ الأرجل . قدمُ أحدهم مثلُ الذراع . عراةٌ . ليست لهم قواربُ . ولو كانت لهم ، لأكلوا كلَّ من مرَّ بهم . وربَّما ابطأت المراكب في البحر ، وتأخّر بهم المسيُر بسسببِ الريحِ ، فينفذُ ما في المراكبِ من الماءِ ، فيقربونَ إلى هؤلاء ، فيستقون الماءَ . وربّما أصابوا منهم ، ويفلتون أكثر .

وبعد هاتين الجزيرتين[١٥] جبالٌ* على الطريق ، يقالُ إنَّ فيها معادنَ الفضَّة ، وليسَتْ بمسكونةٍ . وليس كلُ مركب يريدُها يصيبُها . وإنَّما دلَّ عليها جبلٌ منها يقالُ له الخشنامي* ، مرَّ بهِ مركبٌ ، فرأوا الجبلَ ، فقصدوا لهُ . فلَّما أصبحوا ، انحدروا إليه في قاربٍ ، ليحتطبوا ، وأوقدوا ناراً ، فانسكبتِ الفضَّةُ ، فعلموا أنَّهُ معدنٌ . فاحتملوا ما أرادوا منهُ . فلمَّا ركبوا ، اشتدَّ عليهم البحرُ ، فرموا بجميعِ ما أخذوا منه . ثم تجَّهز الناسُ بعد ذلك إلى هذا الجبلِ ، فلم يعرفوُه . ومثلُ هذا في البحر كثيرٌ ، لا يُحصى ، من جزايرَ ممنوعةٍ ، لا يعرفُها البحريُّون . فمنها ما لا يقدرونَ عليه .

[جـ ـ السحابُ الأبيض ، وريح ما بين المغرب وبنات نعش ، والأمواج العاتية في بحر هركند]

وربَّما رُؤي في هذا البحرِ سحابٌ أبيضُ ، يُظِلِ المراكبَ ، فيشرعُ منه لسانٌ* طويلٌ رقيقٌ حتى يلصقَ ذلك اللسانُ بماءِ البحر ، مثلَ الزوبعةِ . فإذا أدركتِ المركبَ ابتلعَتْهُ .

ثم يرتفُع ذلك السحابُ ، فيمطرُ مطراً فيه قذى البحرِ . فلا أدري أيستقي السحابُ من البحر ، أم كيفَ هذا ؟

(١٥) الأصل ؛ هذه الجزيرة .

وكلُّ بحر من هذه البحارِ ، تهيجُ فيه ريحٌ تثيرُهُ ، وتهيجُهُ ، حتى يغليَ كغليانِ القدور ، فيقذفُ ما فيه إلى الجزايرِ التي فيهِ ، ويكسرُ المراكبَ ، ويقذفُ السمكَ الميتَ الكبارَ العظامَ . وربَّما قذفَ الصخورَ والجبالَ ، كما يقذفُ القوسُ السهمَ .

وأمَّا بحرُ هركند ، فلَهُ ريحٌ غير هذهِ ، ما بينَ المغربِ وبناتِ نَعْشٍ * . فيغلي لها البحرُ كغليانَ القدورِ ، ويقذفُ العنبرَ الكثيرَ . وكلَّما كانَ البحرُ أغزرَ وَأبعدَ قعراً ، كانَ العنبرُ أجودَ . وهذا البحرُ - أعني هركند - إذا عَظُمَتْ أمواجُه ، تراهُ مثلَ النارِ يَتقدُ . وفي هذا البحرِ سَمَكٌ يُدعى اللُّخْمَ * ، وهو سبعٌ يبتلعُ الناسَ . . . . في . . . . (١٦)

. . . .

[٣ - العلاقات التجارية البحرية بين العرب والصين]

[آ - مرفأ خانفو في الصين مجتمع تجارات العرب وأهل الصين]

فيقِّل المَتَاعُ* . ومن أسباب قلَّةِ المَتَاعِ ، حريقٌ ربَّما وَقَع بخانفو ، وهو مرفأ(١٧) السفن ، ومجتمعُ تجاراتِ العربِ وأهلِ الصينِ ، فيأتي الحريقُ على المَتَاعِ . وذلك أنَّ بيوتَهم هناك من خشب ومن قنا مشقَّق . ومن أسباب ذلك أنْ تنكسرَ المراكبُ الصادرةُ والواردةُ ، أو يُنْهَبُوا ، أو يُضْطروا إلى المقام الطويلِ ، فيبيعون(١٨) في غيرِ بلادِ العربِ .

(١٦) اسقاط في الأصل لا يمكن تقديره ..

(١٧) الأصل : مرقا .

(١٨) الأصل : فيبيعوا .

وربَّما رَمَتْ بهم الريحُ إلى اليمنِ أو غيرها ، فيبيعونَ المتاعَ هناك . وربَّما أطالوا الإقامةَ لإصلاحِ مراكبِهِمْ وغير ذلك من العلل .

وذَكَرَ سليمانُ التاجرُ أنَّ بخانفو ، وهو مجتمعُ التجّارِ ، رجلاً مسلماً ، يوليهِ صاحبُ الصينِ الحكمَ بينَ المسلمين ، وخطبَ ، ودعا لسلطانِ المسلمينِ . وانَّ التجارَ العراقيين لا ينكرون من ولايتهِ شيئاً في أحكامِهِ ، وعملِهِ بالحقِّ ، وبما في كتابِ الله ، عزَّ وجلَّ ، وأحكامِ الإسلامِ .

[ب ـ سيراف في الخليج العربي مركز تجميع السلع العربية وشحنها إلى الصين بالسفن الصينية]

فأمَّا المواضعُ التي يرتادونَها ، ويرقونَ إليها ، فذكروا أنَّ أكثر السفنِ الصينِّية تُحَمَّلُ من سيراف* ، وأنَّ المَتاع يُحْمَلُ منَ البصرةِ وعُمَانَ* وغيرها إلى سيراف ، فيعبَّأُ في السفنِ الصينيَّةِ بسيراف . وذلك لكثرةِ الأمواجِ في هذا البحر ، وقلَّة الماءِ في مواضعَ منه .

[٤ ـ وصف الطريق البحرية من سيراف إلى خانفو]

[آ ـ السفر من سيراف إلى مسقط]

والمسافةُ بينَ البصرة وسيراف في الماء ، مائةٌ وعشرون فرسخاً . فإذا عُبِّيَ المَتَاعُ بسيراف ، استعذبوا منها الماء ، وخطفوا ـ وهذه لفظةٌ يتسعملُها أهلُ البحر ، يعني يُقْلِعُونَ ـ إلى موضع يقالُ له مسقطَ ، وهو آخرُ عُمَان . والمسافةُ من سيراف إليهِ نحوُ مائتي فرسخ . وفي شرقيِّ هذا البحر ، فيما بينَ سيراف ومسقط من البلاد ، سيفُ بني الصفَّاق ، وجزيرةُ ابن كاوان* . وفي [غربيِ] هذا البحر جبالُ عُمَان . وفيه[١٩] الموضعُ الذي يُسمَّى الدردوْر ،* وهو مضيق بين جبلين ، تسلكُه السفنُ الصغارُ ، ولا تسلكُه السفنُ الصينِيَّةُ* . وفيه[١٩]

(١٩) الأصل : وفيها .

الجبلان اللذان يقال لهما كسير وعوير* ، وليس يظهر منهما فوقَ الماءِ إلاّ اليسيرُ . فإذا جاوَزْنَا الجبالَ ، صِرْنا إلى موضعٍ يُقالُ لهُ صحارَ عمان ، فنستعذبُ* الماءَ من مسقطَ* ، من بئرٍ بها . وهناك فيه [رعاءُ] غنمٍ من بلاد عمان .

[ب ـ سفر المراكب من مسقط إلى كولم ملي]

فتخطفُ المراكبُ منها إلى بلادِ الهند ، فتقصدُ كولم ملي*[20] . والمسافةُ من مسقط* إلى كولم ملي (٢٠) شهرٌ على اعتدال الريح . وفي كولم ملي[20] ، مسلحةٌ* لبلاد كولم ملي[20] تجبي[21] السفن الصينية ، وبها ماءٌ عذبٌ من آبار . فيؤخذُ من الصينيةِ ألفُ درهم ومن غيرِهَا من السفنِ ما بينَ عشرةِ دنانير إلى دينار . وبينَ مسقط وبينَ كولم ملي[20] وبينَ هركند نحوٌ من شهرٍ . وبكولم ملي[20] يستعذبونَ الماءَ .

[جـ ـ سفر المراكب من كولم ملي إلى لنجبالوس]

ثم تخطفُ المراكبُ ـ أي تقلعُ ـ إلى بحر هركند . فإذا جاوزوه ، صاروا إلى موضعٍ يُقالُ له لنجبالوس*[22] ، لا يفهمونَ لغةَ العرب ، ولا ما يعرفُهُ التجارُ من اللغات . وهم قومٌ لا يلبسون الثيابَ بيض كواشح* . وذكروا أنّهم لم يروا منهم النساءَ . وذلك أنَّ رجالَهم يخرجون إليهم من الجزيرة في زواريق* منقورةٍ من خشبةٍ واحدةٍ ، ومعهم النارجيلُ ، وقصب السكرُ ، والموزُ ، وشرابُ النارجيل ، وهو شرابٌ أبيضُ فإذا شُرِبَ ساعةَ يؤخذُ من النارجيل ، فهو حلوٌ مثلُ العسل . فإذا تُرِكَ ساعةً ، صارَ شراباً ، وإن بقيَ أياماً صارَ خلًّا . فيبيعون ذلك بالحديدِ . وربَّما وقعَ إليهم العنبُر اليسيُر ، فيبيعونَه بقِطَعِ الحديد . إنَّما

---

(٢٠) الأصل : كوكم ملي .

(٢١) الأصل : تجي .

(٢٢) الأصل : ليخ يالوس .

يتبايعون بالإشارةِ ، يداً بيد ، إذْ كانوا لا يفهمونَ اللغةَ . وهم حذّاقٌ بالسباحةِ . فربَّما استلبوا منَ التّجار الحديدَ ، ولا يعطونَهم شيئاً .

[د- سفر المراكب من لنجبالوس إلى كلاه بار في مملكة الزابج ، فتيومه وكندرنج]

ثم تخطفُ المراكبُ إلى موضعٍ يُقالُ لَهُ كلاه بار* . المملكةُ والساحلُ كلٌّ يُقالُ لَهُ بار* . وهي مملكةُ الزابج* ، متيامنةٌ عن بلاد الهندِ . يجمعَهُم ملكٌ ، ولباسُهُمُ الفُوَطُ* ، يلبسُ السريٌّ* والدنيٌّ منهم الفوطةَ الواحدةَ . ويستعذبون هناكَ الماءَ من آبارٍ عذبةٍ . وهم يؤثرون ماءَ الآبارِ على مياهِ العيونِ والمطرِ . ومسافةُ ما بين كولم(٢٣) ، وهي قريبةٌ من هركند ، إلى كلاه بار(٢٤) شهر .

ثم تسيرُ المراكبُ إلى موضعٍ يقالُ له تيومه* (٢٥) . وبها ماءٌ عذبٌ لِمَن أرادهُ . والمسافةُ اليها عشرةُ أيام .

ثم تخطفُ المراكبُ إلى موضعٍ يقالُ لهُ كندرنج*(٢٦) عشرةَ أيامٍ . وفيها ماءٌ عذبٌ لمنْ أرادَهُ وكذلك جزايرُ الهند ، إذا احتُفِرَتْ فيها الآبارُ ، وُجِدَ فيها الماءُ العذبُ . وبها جبلٌ مشرفٌ ، وربَّما كان فيه الهرّابُ* من العبيدِ واللصوصِ .

---

(٢٣) الأصل : كوكم .
(٢٤) الأصل : كله بار .
(٢٥) الأصل : بتومه .
(٢٦) الأصل : كدرنج .

[هـ - سفر المراكب من كندرنج إلى صنف فولاو فصنخي فأبواب الصين فخانفو]

ثم تسيرُ المراكبُ إلى موضعٍ يقالُ لهُ صنف* ، مسيرةُ عشرة أيامٍ . وبها ماءٌ عذبٌ . ومنهُ يؤتى بالعودِ* الصنفيِّ . وبها ملكٌ . وهم قومٌ سمرٌ ، يلبسُ كلٌّ واحدٍ منهم فوطتين .

فإذا استعذبوا منها ، خطفوا إلى موضعٍ يقالُ له صنف فولاو* [٢٧] . وهي جزيرة في البحر . والمسافةُ إليها ، عشرةُ أيام . وفيها ماءٌ عذبٌ .

ثم تخطفُ المراكبُ إلى بحر يقالُ لهُ صَنخي* [٢٨] ثم إلى أبوابِ الصينِ* ، وهي جبالٌ في البحرِ ، بينَ كلِّ جبلين فرجة تمرُّ فيها المراكبُ .

فإذا سلَّم الله من صنف فولاو[٢٧] ، خطفَتِ المراكبُ إلى الصين في شهرٍ . إلَّا أنَّ الجبالَ التي تمرُّ بها المراكبُ مسيرةُ سبعةِ أيام . فإذا جازَتِ السفينةُ الأبوابَ ، ودخلَتِ الخورَ ، صارَتْ إلى ماءٍ عذبٍ إلى الموضعِ الذي ترسى إليه من بلادِ الصينِ ، وهو يسمىً خانفو* : مدينة . وسائرُ الصين فيها الماءُ العذبُ من أنهارٍ عذبةٍ وأوديةٍ ومسالحَ وأسواقٍ في كلِّ ناحيةٍ .

[٥ - المد والجزر في البحار الثلاثة وغرائب الطريق البحرية من سيراف إلى خانفو]

وفيها مدٌّ وجزرٌ مرتين في اليوم والليلة . إلا أنَّ المدَّ يكونُ فيما يلي البصرة إلى جزيرة ابن كاوان ، إذا توسَّط* القمرُ السماءَ . ويكون الجزرُ عندَ طلوعِ القمرِ ، وعند مغيبِهِ . والمدُّ يكون بناحية الصينِ إلى قريبٍ من جزيرة ابن

(٢٧) الأصل : صندرفولات .

(٢٨) الأصل : صنجي .

كاوان ، إذا طلعَ القمرُ . فإذا توسَّطَ السماءَ ، جزرَ الماءُ . فإذا غابَ ، كان المدُّ . فإذا كان في مقابلة وَسَطِ السماءِ ، جَزَرَ .

وذكر أنَّ في جزيرة ، يقالُ لها ملجان* (٢٩) ، فيما بين سرنديب وكلاه* (٣٠) ـ وذلك من بلادِ الهندِ ، في شرقيِّ البحر ، قوماً منَ السودانِ عراة ، إذا وجدوا الإنسانَ من غير بلادهم علَّقوهُ منكساً ، وقطَّعوهُ ، وأكلوهُ نيئاً . وعددُ هؤلاء كثيرٌ . وهم في جزيرةٍ . وليسَ لهم ملكٌ . وغذاؤهُم السمكُ ، والموزُ ، والنارجيلُ * ، وقصبُ السكر . ولهم شبيهُ بالغياضِ والآجام .

وذكروا أنَّ في ناحيةِ البحرِ ، سمكاً صغيراً طيَّاراً ، يطيرُ على وَجْهِ الماءِ يُسمَّى جرادَ الماء . وذكروا أنَّ بناحية البحرِ ، سمكاً يخرجُ حتى يصعدَ على النارجيلِ ، فيشربُ ما في النارجيل منَ الماءِ ، ثم يعودُ إلى البحر . وذكروا أنَّ في البحرِ حيواناً ، يشبهُ السرطانَ ، فإذا خرجَ منَ البحر ، صارَ حجراً . قال : ويُتَّخَذُ منهُ كحلٌ لبعضِ عِلَلِ العَيْنِ .

وذكروا أنَّ بقربِ الزابج* جبلاً يسمَّى جبل النار لا يقدرُ على الدنوِّ منهُ . يظهرُ منهُ بالنهارِ دخانٌ ، وبالليلِ لَهَبُ نارٍ . ويخرجُ من أسفلهِ عينٌ باردةٌ عذبةٌ ، وعينٌ حارَّةٌ عذبةٌ .

[٦ ـ لباس أهل الصين وغذاؤهم ، وثمار أرضهم وبعض عاداتهم]

ولباسُ أهلِ الصينِ ، الصغارِ والكبارِ ، الحريرُ في الشتاءِ والصيفِ . فأمَّا الملوكُ ، فالجيّدُ منَ الحريرِ ، ومَنْ دونَهُمْ ، فعلى قَدْرِهِمْ . وإذا كان الشتاءُ ، لبسَ الرجلُ السروالين* (٣١) والثلاثة والأربعة والخمسة وأكثرَ من ذلك ، على قَدرِ

(٢٩) الأصل : له ملحان .
(٣٠) الأصل : كله .
(٣١) الأصل : السراويلين

ما يمكنهم . وإنّما قصدُهُمْ أن يدفئوا[٣٢] أسافلَهُمْ ، لكثرةِ الندى وخوفِهِمْ منهُ . وأما الصيف ، فيلبسونَ القميصَ الواحدَ منَ الحريرِ ونحوَ ذلك . ولا يلبسونَ العمايمَ .

وطعامُهُم الأرزُّ . وربّما طبخوا معهُ الكوشان* ، فصبُّوهُ على الأرزِّ ، فأكلوهُ . فأمَّا الملوكُ منهُمْ ، فيأكلونَ خبزَ الحنطةِ ، واللحمَ من ساير الحيوانِ ، ومنَ الخنازيرِ وغيرها .

ولهُمْ من الفاكهةِ التفاحُ ، والخوخُ ، والأترجُ ، والرمانُ ، والسفرجلُ ، والكمثرى ، والموزُ ، وقصبُ السكر ، والبطيخُ ، والتينُ ، والعنبُ ، والقثاءُ ، والخيارُ ، والنبقُ ، والجوزُ ، واللوزُ ، والجلوزُ ، والفستقُ ، والإجَّاصُ ، والمشمشُ ، والغبيراءُ ، والنارجيلُ . وليس لهم فيها كثيرُ نخلٍ ، إلاّ النخلة في دار أحدهم . وشرابُهم النبيذُ المعمولُ منَ الأرزِّ . وليسَ في بلادهِمْ خمرٌ ، ولا تُحْمَلُ إليهم ، ولا يعرفونَها ، ولا يشربونَها . ويُعْمَلُ منَ الأرزِّ الخلُّ والنبيذُ والناطفُ وما أشبه ذلك .

وليس لهم نظافةٌ ، ولا يستنجونَ بالماءِ ، إذا أحدثوا ، بل يمسحون ذلك بالقراطيس الصينية . ويأكلون الميتَةَ وما أشبهها مما يصنعُهُ المجوسُ . فإنَّ دينَهم يشبهُ دينَ المجوسِ . ونساؤُهم يكشفنَ رؤوسهنَّ ، ويجعلنَ فيها الأمشاطَ ، فربَّما كانَ في رأس المرأة عشرونَ مشطاً منَ العاج وغيرُ ذلك . والرجالُ يغطُّون رؤوسَهُمْ بشيء يشبه القلانسَ* . وسنَّتُهم في اللصوصِ أنْ يُقْتَلَ اللصُّ إذا أصيبَ .

---

(٣٢) الأصل : أن يدفوا

أخبار بلاد الهند والصين أيضا وملوكها

[٧ - ممالك الهند وملوكها]

أهلُ الهندِ والصين مجمعونَ على أنَّ ملوكَ الدنيا المعدودين أربعةٌ . فأوّلُ مَنْ يعدّون منَ الأربعةِ ، ملكُ العربِ . وهو عندهُمْ ، بالإجماع[٣٢] ، لا اختلاف بينَهم فيه أنَّهُ أعظمُ الملوكِ[٣٣] ، وأكثرهُمُ مالاً ، وأبهاهُم جمالاً ، وأنّه ملكُ الدينِ الكبير ، الذي ليس فوقَهُ شيءٌ . ثم يعدُّ ملكُ الصين نفسَهُ بعدَ ملكِ العرب ، ثم ملكَ الروم ، ثم بلهرا* ، ملك المخرّمي الآذان* .

[آ - بلهرا ومملكته]

فأما بَلْهَرَا هذا ، فإنَّهُ أشرفُ الهندِ . وهُمْ لهُ مُقِرُّونَ بالشرفِ . وكلُّ ملكٍ من ملوك الهند متفرِّدٌ بملكهِ . غير أنَّهم مُقِّرون لهذا ، فإذا وردَتْ رسلُهُ على سايرِ الملوكِ . صلَّوا لرُسْلِهِ تعظيماً لهُ . وهو ملكٌ يعطي العطاءَ* ، كما تفعلُ العربُ ، ولهُ الخيلُ والفيلةُ الكثيرةُ والمالُ الكثُير . ومالُهُ دراهُمُ ، تدعى الطاطريَّة* ، وزنُ كلِّ درهمٍ درهمٌ ونصفٌ بسكَّةِ الملكِ . وتاريخُه في سنةٍ من مملكةِ مَنْ كان قَبلَهُ ، ليسَ كسنَّةِ العربِ من عَصْرِ النبي ، عليه السلامُ ، بل تاريخُهم بالملوكِ . وملوكهُمْ يعمِّرونَ . وربَّما ملكَ أحدهُمْ خمسينَ سنةً . وتزعُم أهلُ مملكة بلهرا ، إنَّما يطولُ مدَّةُ ملكهِمْ وأعمارهُم في الملكِ ، لمحبَّتِهِمْ للعرب . وليسَ في الملوك أشدُّ حبّاً للعربِ منهُ . وكذلك أهلُ مملكتِه . وبلهرا اسمٌ لكلِّ ملك منهم ، ككسرى ونحوِهِ ، وليس باسمٍ لازمٍ . ومُلْكُ بلهرا وأرضُهُ ، أوَّلُها ساحلُ البحر ، وهي بلادٌ تدعى الكُمْكُمْ * ، متّصلةً

---

(٣٢) الأصل : اجماع

(٣٣) الأصل : انه ملك أعظم الملوك

على الأرضِ إلى الصين . وحولَهُ ملوكٌ كثيرةٌ ، يقاتلونَهُ ، غير أنَّهُ يظهَرُ عليهم .

[ب - ملك الجرز ومملكته]

فمنهُمْ ملكٌ يدعى ملكَ الجُرْزِ* . وهو كثيرُ الجيشِ ، ليس لأحدٍ منَ الهندِ مثلُ خيلِهِ . وهو عدوُّ العربِ ، غير أنَّهُ مقرٌّ انَّ ملكَ العرب أعظمُ الملوك ، وليسَ أحدٌ منَ الهند أعدى للإسلامِ منهُ .

وهو على لسانٍ* منَ الأرضِ ، وأموالُهُمْ كثيرةٌ ، وإبلُهُمْ ومواشيهُمْ كثيرةٌ . ويتبايعونَ بالفضَّةِ والتِّبْرِ[٣٤] . ويُقالُ إنَّ لهم معادنَ . وليسَ في بلادِ الهندِ آمنُ منَ السرقِ منها .

[جـ - ملك الطاقي ومملكته]

والى جانبه ملك الطاقي[٣٥]* . وهو قليل المملكة . ونساؤهم بيض ، أجمل نساء الهند . وهو ملك موادع لمن حوله ، لقلة جيشه . وهو يحبُّ العربَ كحب بلهرا .

[د - الملك دهرم ومملكته]

ويلي هؤلاء ملكٌ يُقالُ لهُ دهرم*[٣٦] ، يقاتلُه ملكُ الجرزِ ، وليسَ لهُ شرفٌ في الملكِ . وهو أيضاً يقاتلُ بلهرا ، كما يقاتلُ ملكَ الجرز . ودهرم هذا أكثرُ جيشاً من مَلِكِ بلهرا ومن مَلِكِ الجرز ومن الطاقي[٣٥] . ويُقالُ إنَّهُ ، إذا خرجَ إلى القتالِ ، يخرُج في نَحْوٍ من خمسين ألف فيل ، ولا يخرجُ إلاّ في الشتاءِ ، لأنَّ الفيلةَ لا تصبُر على العطش ، فليسَ يسعُهُ إلاّ الخروُج في الشتاء . ويقالُ إنَّ قصارى عسكرِهِ نحوٌ من عشرةِ آلاف[٣٧] إلى خمسة عَشرَ ألفاً . وفي بلادِه الثيابُ

---

(٣٤) الأصل : ويتبايعون بالفضة التبر

(٣٥) الأصل : الطافق

(٣٦) الأصل : رهمي

(٣٧) الأصل : عشرة ألف

التي ليسَ لأحدٍ مثلُها ، يدخلُ الثوبُ منها في حلقةِ خاتمٍ ، دقَّةً وحُسْناً ، وهو من قُطْن . وقد رأينا بعضَها . والذي يُنْفَقُ في بلاده ، الودعُ ، وهو عينُ البلادِ* ، يعني مالَهُ . وفي بلاده الذهبُ ، والفضّةُ ، والعودُ ، والثيابُ الصُمْرُ* الذي يتَّخذُ منهُ المذابُ* .

وفي بلادهِ البشانُ* المعلَّم* ، وهو الكركدن ، لَهُ في مقدَّم جبهتِهِ قرنٌ واحدٌ . وفي قَرنِه علامةٌ صورةُ خِلْقَةٍ كصورةِ الإنسانِ في حكايتِهِ . القرنُ كلُّهُ أسودُ ، والصورةُ بيضاءُ في وسَطِهِ . وهذا الكركدنُ دونَ الفيلِ في الخلقةِ ، إلى السوادِ ما هو . ويشبهُ الجاموسَ ، قويٌّ ليسَ كقوّتِهِ شيءٌ منَ الحيوان . وليس له مفصلٌ في ركبتِهِ ، ولا في يده . وهو ، من لَدُن رجلهِ إلى إبطهِ ، قطعةٌ واحدةٌ . والفيلُ يهربُ منهُ . وهو يجترُّ ، كما تجترُّ البقرُ والإبلُ ، ولحمهُ حلالٌ ، قد أكلناهُ . وهو في هذه المملكة كثيرٌ في غياضِهِمْ . وهو في سايرِ بلاد الهندِ ، غير أنَّ قرونَ هذا أجودُ . فربَّما كانَ في القرن صورةُ رجل ، وصورةُ طاووس ، وصورةُ سمكة ، وسايُر الصور . وأهلُ الصين يتّخذونَ منها المناطقَ . وتبلُغ المنطقةُ ببلاد الصين ألفي دينار وثلاثة آلاف وأكثر ، على قدر حُسَنِ الصورة . وهذا كلُّهُ يُشْتَرَى من بلادِ دهرم[٣٦] بالودعِ ، وهو عينُ البلاد .

[هـ ـ ممالك الهند الأخرى : لكشمبير : التنلونج ، المادبد وغيرهم]

وبعدَهُ ملكٌ داخلي[٣٨] ليس له بحرٌ ، يقالُ له ملك لكشمبير*[٣٩] . وهم قومٌ بيضٌ ، مُخَرَّمو الآذان . ولهم جمالٌ . وهم أصحابُ بدو وجمل .

وبعدَهُ بحرٌ عليه ملكٌ ، يقالُ لهُ التنلونج*[٤٠] ، وهو ملكٌ فقيرٌ ، يَقَعُ اليه العنبرُ الكثيرُ . وله أنيابُ فيلةٍ . وعندهَ فلفلٌ يُؤكلُ رطباً لقلَّتِهِ .

---

(٣٨) الأصل : داخل

(٣٩) الأصل : الكاشبين

(٤٠) الأصل : القيرنج

وبعد هذا ملوكٌ كثيرةٌ ، لا يعلمُ عددَهم إلاّ اللهُ ، تباركَ وتعالى ، منهم الموجة* . وهمْ قومٌ بيضٌ ، يشبهونَ الصينَ في اللباسِ ، ولهم مسكٌ كثيرٌ . وفي بلادِهِمْ جبالٌ بيضٌ ، ليسَ شيءٌ أطولَ منها . وهم يقاتلونَ ملوكاً كثيرةً حولَهُمْ . والمسكُ الذي يكوُن في بلادهِمْ جيّدٌ بالغٌ .

ومن ورائِهِمْ ملوكُ المادبد*[41] ، مدائنهم كثيرة ، وهم إلى حيث الموجه . وهم أكثر من الموجه . غير أنَّ المادبد[41] أشبهُ بالصين منهُمْ . ولهم خدمٌ خصيان مثلُ الصين ، عمّال عليهم . وبلادهُم تتصل ببلاد الصين . وهم مصالحون لصاحبِ الصينِ ، غير أنَّهم لا يسمعون لَهُ . وللمادبد[41] في كلِّ سنةٍ رسلٌ إلى ملك الصينِ وهدايا . وكذلك ملكُ الصينِ يُهْدي إليهم . وبلادهُم واسعةٌ . وإذا دخلَتْ رسلُ المادبد بلادَ الصين ، حفظوا مخافةَ أنْ يغلبوا على بلادهم لكثرتهم . وليس بينهم وبين بلاد الصين إلاّ جبالٌ وعِقابٌ .*

[٨ - التنظيمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الصين]

[أ - مدن الصين وعملتها وطقوس الأموات عندهم]

ويقالُ إنَّ لملكِ الصين من أمهَات المداينِ أكثرَ من مايتي مدينة . ولكلِّ مدينةٍ ملكٌ وخصيٌ . وتحتَ كلِّ مدينة مداينُ . فمن مداينِهِمْ خانفو ، وهي مرسى السفن ، تحتَها عشرون مدينة . وإنَّما تسمَّى مدينة ، إذا كانَ لها جادمٌ* . والجادمُ مثلُ البوقِ ، يُنْفَخُ فيه ، وهو طويلٌ ، وغلظُهُ ما يجمعُ الكفَّين جميعاً ، وهو مطليٌّ بدواءِ الصينيات* ، وطولُه ثلاثةُ أو أربعةُ أذرعٍ ، ورأسُهُ دقيقٌ بقدرِ ما يلتقمُهُ الرجلُ ، ويذهبُ صوتُهُ نحواً من ميلٍ . ولكلِّ مدينةٍ أربعةُ أبوابٍ . فعلى كلِّ بابٍ منها من الجوادم[42] خمسةٌ تُنْفَخُ في أوقاتٍ منَ الليلِ والنهارِ .

---

(٤١) الأصل : المابذ

(٤٢) الأصل : الجادم

وعلى كلِّ مدينةٍ عشرةُ طبولٍ تُضرَبُ معهُ . وإنّما يُفعَلُ ذلك ، لتُعْلَمَ طاعتُهُمْ للملكِ ، وبه يعرفونَ أوقاتَ الليلِ والنهارِ . ولهُمْ علاماتٌ ووزنٌ للساعات .

ومعاملتُهُمْ بالفلوسِ* ، وخزائنُهُمْ كخزائنِ الملوكِ ، وليسَ لأحدٍ منَ الملوكِ فلوسٌ سواهم . وهو عينُ البلادِ . ولهمُ الذهبُ ، والفضّةُ ، واللؤلؤُ ، والديباجُ ، والحريرُ . كلُّ ذلك كثيرٌ عندَهُمْ ، غيرَ أنَّ ذلك مَتاعٌ ، والفلوسُ* عينٌ . ويُحْمَلُ إليهم العاجُ ، واللبانُ ، وسبايكُ النحاس ، والذبلُ* منَ البحرِ ، وهو جلودُ ظهورِ السلاحفِ . وهذا البشانُ الذي وصفنا ، وهو الكَرْكَدَّنُ ، يتّخذونَ من قرونِهِ مناطقَ . ودوابُّهم كثيرةٌ ، وليسَ لهُمْ خيلٌ عربيةٌ ، بل غيرُها . ولهم حميرٌ ، وإبلٌ كثيرةٌ لها سنامان . ولهم الغُضَارُ الجيّدُ ويُعْمَلُ منهُ أقداحٌ في رقّةِ القواريرِ ، يُرى ضوءُ الماءِ فيه ، وهو من غُضَار .

وإذا دخلَ البحريونَ منَ البحر ، قَبَضَ الصينيون مَتَاعَهُمْ ، وصيَّروهُ في البيوت ، وضمنُوا الدركَ إلى ستة أشهرٍ ، إلى أنْ يدخلَ آخرُ البحريين . ثم يُؤْخَذُ من كلِّ عشرةٍ ثلاثةٌ ، ويسلَّمُ الباقي إلى التجّارِ . وما احتاجَ إليه السلطانُ ، أخَذَهُ بأغلى الثمنِ ، وعجَّلَهُ* ، ولم يظلُمْ فيهِ . ومما يأخذونَ الكافورُ* ، المن بخمسين فكُّوجاً* . والفكُّوجُ ألف فلسٍ . وهذا الكافورُ ، إذا لم يأخذْهُ السلطانُ يساوي نصفَ الثمنِ خارجاً .

وإذا ماتَ الرجلُ من أهلِ الصينِ ، لم يُدْفَنْ إلاّ في اليومِ الذي ماتَ في مِثلِهِ من قابلٍ . يجعلونَهُ في تابوتٍ ، ويخلّونَهُ في منازلِهِمْ ، ويجعلونَ عليه النورةَ ، فتمصّ ماءَهُ ويبقى . والملوكُ يُجْعَلُونَ في الصبرِ والكافورِ . ويبكونَ على موتاهم ثَلاثَةَ سنين . ومن لم يَبْكِ ، ضُرِبَ بالخشبِ . كذلك النساءُ والرجالُ . ويقولونَ إنَّهُ لم يحزنْكَ ميتُكَ . ويدفنونَ في ضريحٍ كضريحِ العربِ ، ولا يقطعونَ عنهُ الطعامَ ، ويزعمونَ أنّه يأكلُ ويشربُ . وذلك أنَّهم يضعونَ عندَهُ الطعامَ بالليلِ ، فيصبحونَ ولا يجدونَ منهُ شيئاً . فيقولون قد

أكلَ . ولا يزالونَ في البكاءِ والإطعامِ ما بقيَ الميتُ في منزلِهِمْ . فيفتقرون على موتاهم ، فلا يبقى لهُمْ نَقْدٌ ، ولا ضيعةٌ إلاّ أنفقوهُ عليهِ . وقد كانوا قبلَ هذا يدفنونَ الملكَ وما مَلَكَ من آلةِ بيتهِ ومن ثيابٍ ومناطقَ . ومناطقُهُمْ تبلغُ مالاً كثيراً . وقد تركوا ذلك الآن . وذلك أنَّهُ نُبِشَ بعضُ موتاهم ، وأُخِذَ ما كانَ معهُ .

[ب - التعليم وتصنيف الملوك ونظرهم في الظلامات]

والفقيرُ والغنيُّ من أهلِ الصين ، والصغيرُ والكبيرُ يتعلَّمُ الخطَّ والكتابةَ .

واسمُ ملوكِهِمْ على قَدَرِ الجاهِ ، وكبرِ المدائنِ . فما كانَ من مدينةٍ صغيرةٍ ، يسمى ملكُها طسُّوشي* (٤٣) ، ومعنى طسُّوشي(٤٣) أقامَ المدينةَ . وما كانَ من مدينةٍ ، مثل خانفو ، فاسمُ ملكِهَا ديفو* . والخصيُّ يدعى الطوقامَ* . وخصيانُهم منهمْ مسلولونَ . وقاضي القضاةِ يُقَالُ لهُ لقشي صامكون* (٤٤) ونحو هذا من الأسماء ممّا لا نضبطُهُ .

وليسَ يملكُ أحدٌ منهُم لأقلَّ من أربعين سنةً . يقولونَ قدْ حنَّكَتْهُ التجاربُ . والملوكُ الصغارُ ، إذا قعدَ أحُدُهم ، يقعدُ على كرسيٍّ في بَهْوٍ عظيمٍ ، وبينَ يديه كرسيٌّ . وتُرْفَعُ إليهِ الكتبُ التي فيها أحكامُ الناسِ . ومنْ وراءِ الملكِ رجلٌ قائمٌ ، يُدْعَى لنجون* (٤٥) ، إذا زلَّ الملكُ في شيءٍ ممّا يأمُر بهِ ، وأخطأَ ، ردَّهُ . وليسَ يعبؤونَ بالكلامِ ممَّن يرفعُ إليهم ، دونَ أنْ يكتبَهُ في كتابٍ . وقبلَ أنْ يدخلَ صاحبُ القصَّة على الملكَ ، يَنْظُرُ في كتابهِ رجلٌ قايمٌ ببابِ الدارِ ، ينظُر في كتبِ الناسِ ، فإذا كانَ فيها خَطَأٌ ، ردَّها(٤٦) فليسَ يكتبُ

---

(٤٣) الأصل : طوسنج
(٤٤) الأصل : لقشي مامكوني
(٤٥) الأصل : ليخوا
(٤٦) الأصل : رده

إلى الملكِ إلاّ كاتبٌ يعرفُ الحكمَ . ويكتبُ الكاتبُ في الكتابِ «كَتَبَهُ فلانٌ بنُ فلانٍ» . فإنْ كانَ فيه خَطَأً ، رُجِعَ إلى الكاتبِ باللومِ ، فيضربُ بالخشبِ . وليسَ يقعدُ الملكُ للحكمِ حتّى يأكلَ ويشربَ ، لئلا يغلط . وأرزاقُ كلِّ ملكٍ من بيتِ مالِ مدينتِهِ .

فأما الملكُ الأكبرُ ، فلا يُرَى إلاّ في كلِّ عشرةِ أشهر . يقولُ : إذا رآني الناسُ ، استخفُّوا بي ، والرئاساتُ لا تقومُ إلاّ بالتجبُّرِ ، وذلك أنَّ العامَّةَ لا تعرفُ العدلَ ، فينبغي أنْ يُسْتَعمَلَ معهُمْ التجبُّرَ ، لنعظُمَ عندَها .

[جـ - جباية الضرائب]

وليسَ على أرضهمْ خراجٌ ، ولكن عليهم جزيةٌ على الجماجمِ الذكورِ ، حسبما يرونَ منَ الأحوال . وإنْ كانَ بها أحدٌ منَ العربِ أو غيرِهِمْ ، أُخِذَ منهُ جزيةُ مالِهِ ، ليحرزَ مالُهُ . وإذا غلا السعرُ ، أَخْرَجَ السلطانُ من خزائِنِه الطعامَ ، فباعَهُ بأرخص من سِعْرِ السوقِ ، فلا يبقى عندَهُمْ غلاء . والذي يدخلُ بيتَ المالِ ، إنَّما هو من الجزيةِ التي على رؤوسِهِمْ . وأظنُّ أنَّ الذي يدخل بيتَ مال خانفو في كلِّ يومٍ خمسون ألف دينار . على أنَّها ليسَتْ بأعظم مدائنِهِمْ .

ويختصُّ الملكُ منَ المعادنِ بالملحِ ، وحشيشٍ يشربونَهُ بالماءِ الحارِّ . ويباعُ منهُ في كلِّ مدينةٍ بمالٍ عظيمٍ . ويقالُ لهُ الساخ* . وهو أكثرُ ورقاً منَ الرطبةِ ، وأطيبُ قليلاً ، وفيه مرارةٌ . فيُغْلَى الماءُ ، ويذرُّ عليهِ ، فهو ينفعهُمْ من كلِّ شيء . وجميعُ ما يدخلُ بيتَ المالِ ، الجزيةُ والملحُ وهذا الحشيشُ .

[د - جرس الدرا وأذون السفر والتعامل المالي بين الناس]

وفي كلِّ مدينةٍ شيءٌ يُدْعَى الدرا* . وهو جرسٌ على رأسِ مَلِكِ تلك المدينةِ ، مربوطٌ بخيطٍ مادٌّ على ظهرِ الطريقِ للعامَّةِ كافَّة . وبينَ الملكَ وبينَهُ نحوٌ منْ فرسخٍ . فإذا حُرِّكَ الخيطُ الممدودُ أدنى حركةٍ ، تحرَّكَ الجرسُ . فمَنْ كانت لهُ ظُلامةٌ ، حرَّك هذا الخيطَ ، فيتحرَّكُ الجرسُ منهُ على رأس الملكِ ،

فيُؤذَنُ لهُ بالدخولِ ، حتى ينهي حالَهُ بنفسِهِ ، ويشرحَ ظلامتَهُ . وجميعُ البلادِ فيها مثلُ ذلك .

ومَنْ أراد سفرا منْ بَعضِها إلى بعض ، أخذَ كتابين منَ الملكِ ومن الخصيِّ . أمَّا الملكِ فللطريقِ باسمِ الرجلِ ، واسمِ مَنْ مَعَهُ ، وكَمْ عمرُهُ ، وعُمْرُ مَنْ مَعَهُ ، ومِنْ أيِّ قبيلةٍ هو . وجميعُ مَنْ ببلادِ الصينِ منْ أهلها ومنَ العربِ وغيرِهِمْ ، لا بدَّ لهم أنّ ينتمُوا إلى شيء يُعْرَفونَ بهِ .

وأمَا كتابُ الخصيِّ ، فبالمالِ وما مَعَهُ منَ المَتَاعِ . وذلك لأنَّ في طريقهِمْ مسالحُ[٤٧] ، ينظرونَ في الكتابينِ . فإذا وردَ عليهم الواردُ ، كتبوا وَرَدَ علينا فلانُ بُن فلانٍ الفلانيّ في يوم كذا وشهرِ كذا وسنةِ كذا ومَعَهُ كذا ، لئلاَّ يذهبَ من مالِ الرجلِ ولا من مَتَاعِهِ شيءٌ ضياعاً . فمتى ذهبَ منهُ شيءٌ أو ماتَ ، عُلِمَ كيفَ ذهبَ ، ورُدَّ عليهِ أو على ورثتِهِ من بَعْدِه .

وأهلُ الصينِ يُنْصِفُونَ في المعاملاتِ والديونِ[٤٨] . فإذا كانَ لرجلٍ على رجلٍ دينٌ ، كتبَ عليهِ كتاباً ، وكتبَ الذي عليهِ الدينُ أيضاً كتاباً ، وعلَّمَهُ بعلامةٍ بينَ إصبعيهِ الوسطى والسبّابةِ ، ثم جُمِعَ الكتابانِ ، فطُويا جميعاً ، ثم كُتِبَ على فصلِهِمَا ، ثم فُرِّقَ ، فأعطيَ الذي عليه الدينُ كتابَهُ بإقرارهِ . فمتى جَحَدَ أحدُهما غريمَهُ ، قيلَ لَهُ أحْضِرْ كتابَكَ . فإنْ زَعَمَ الذي عليه الدينُ أنَّهُ لا شيءَ لهُ ، ودفعَ كتابَهُ بخطِّهِ وعلامَتِهِ ، وذهَب كتابُ صاحبِ الحقِّ ، قيلَ للجاحدِ الذي عليه الحقُّ : أحْضِرْ كتاباً بأنَّ هذا الحقَّ ليسَ عليكَ . فمتى بيَّنَ عليك صاحبُ الحَقِ الذي جحدتَهُ ، فعليك عشرون خشبةً على الظهر ، وعشرون ألف فَكُّوج والفكُّوج ألفُ فلس . يكونُ ذلك قريباً من ألفي دينار ،

---

(٤٧) الأصل : مسايح

(٤٨) الأصل : والديوان

والعشرون خشبة فيها موتهُ . فليس يكادُ أحدٌ ببلاد الصين يُعطي هذا من نفسِهِ ، مخافةَ تَلَفِ النفسِ والمالِ . ولم نَرَ أحداً أجابَ إلى ذلك . وهم يتناصفونَ بَينَهُمْ ، وليس يذهبُ لأحدٍ حقٌّ ، ولا يتعاملونَ بشاهدٍ أو يمينٍ .

وإذا أفلسَ رجلٌ بمالِ قومٍ ، فحبسَهُ الغرماءُ بأموالِهِمْ عندَ السلطان ، أُخِذَ إقرارُهُ . فإنْ لبثَ في السجنِ شهراً ، أخرجَهُ السلطانُ ، فنادى عليه : إنَّ هذا فلانٌ بنْ فلانٍ أفلسَ بمالِ فلانٍ بن فلانٍ .

فإنْ يكنْ لهُ عند أحدٍ وديعةٌ ، أو كانَ لهُ عقارٌ أو رقيقٌ ، أو ما يحيطُ بدينِهِ ، أُخْرِجَ في كلِّ شهرٍ فضُرِبَ خشباتٍ على إسْتِهِ ، لأنَّهُ أقامَ في الحبسِ يأكلُ ويشربُ ولهُ مالٌ . فهو يُضْرَبُ ، أقرَّ لهُ أحدٌ بمالٍ أو لم يقرَّ لهُ ، فهو يُضْرَبُ على كلِّ حالٍ . يقالُ لهُ : ليسَ لك عملٌ إلاَّ أخذُ حقوقِ الناسِ والذهابُ بها . ويقالُ لهُ : احتلْ* حقوقَ هؤلاءِ القومِ . فإن لم يكنْ لهُ حيلةٌ وصحَّ عندَ السلطانِ أنَّهُ لا شيءَ لَهُ ، دُعِيَ الغرماءُ ، فأعطوْا من بيتِ مالِ البغبورِ*[49] . وهو الملك الأعظم . وإنَّما سُمِي البغبورَ[49] ، ومعناهُ ابنُ السماءِ ، ونحنُ نسمّيهِ المغبورَ[50] . ثم يُنَادَى : مَنْ بايعَ هذا ، فعليهِ القتلُ . فليسَ يكادُ يذهبُ لأحدٍ مالٌ . وإنْ عُلِمَ أن لَهُ عند أحدٍ مالاً ، ولم يقرَّ المودَعُ بالمالِ ، قُتِلَ بالخشبِ ، ولم يُقَلْ لصاحبِ المالِ شيءٌ . فيُؤْخَذُ المالُ ، ويقسَّمُ على الغرماءِ ، ولا يبايَعُ بعد ذلكَ .

[هـ ـ الأدوية وضمان الشيخوخة ووصف النساء والرجال]

ولهم حَجَرٌ منصوبٌ ، طولهُ عشرةُ أذرعٍ ، مكتوبٌ فيهِ ، نَقْراً بالحجرِ ، ذكرُ الأدويةِ والأدواءِ : داءُ كذا دواؤهُ كذا . فإنْ كانَ الرجلُ فقيراً ، أعطي ثمنَ الدواءِ من بيتِ المالِ .

---

(٤٩) الأصل : البغبون

(٥٠) الأصل : المغبون

وليس عليهم خراجٌ في ضياعهم ، وإنّما يُؤخَذُ منَ الرؤوس على قَدرِ أموالهم وضياعِهم . وإذا وُلِدَ لأحدٍ ذَكَرٌ ، كُتِبَ اسمُهُ عندَ السلطانِ . فإذا بلغَ ثماني عشرة سنةً ، أُخِذَتْ منهُ الجزيةُ . فإذا بلغَ ثمانين سنةً ، لم يُؤخذْ منهُ جزيةٌ ، وأجرِيَ عليهِ من بيتِ المالِ . ويقولونَ : أَخَذْنَا منهُ شاباً ، ونُجْرِي عليهِ شيخاً .

وفي كلِّ مدينةٍ كُتَّابٌ ومعلِّمٌ يعلِّمُ الفقراءَ وأولادَهُمْ ، من بيتِ المالِ يأكلونَ .

ونساؤُهُمْ مكشفاتُ الشعورِ . والرجالُ يغطّون رؤوسَهم . وبها قريةٌ يقالُ لها تايو* في الجبل . فهم قصارٌ ، وكلُّ قصيرٍ ببلادِ الصينِ يُنْسَبُ إليها . وأهلُ الصينِ أهلُ جمالٍ وطول وبياضٍ نقيٍّ مشربٍ حمرة[٥١] . وهم أشدُّ الناسِ سوادَ شعورٍ ، ونساؤُهم يجرينَ شعورَهنَّ .

[٩ - بعض تقاليد الهند : التقاضي ، وفاة ملك سرنديب ، زهاد الهنود]

وأمّا بلادُ الهند ، فإنَّه إذا ادَّعى رجلٌ آخر دعوى يجبُ فيها القتلُ ، قيلَ للمدّعي : أتحاملُهُ النارَ* ؟ فيقولُ : نعم . فتُحمَّى حديدةٌ إحماءً شديداً حتى يظهرَ النارُ فيها . ثم يقالُ لهُ : ابسطْ يدَكَ . فتوضعَ على يدهِ سبعُ ورقاتٍ من ورقِ شجرٍ لهُمْ ، ثمَّ توضعُ على يده الحديدةُ فوقَ الورقِ ، ثم يمشي بها مُقبلاً مُدبراً حتّى يلقيهَا عن يدِهِ . فيُؤْتَى بكيسٍ من جلودٍ ، فتُدخَلُ يدُهُ فيهِ ثمَّ يختمُ بختمِ السلطانِ . فإذا كانَ بعدَ ثلاثٍ[٥٢] ، أُتِيَ بأرزٍّ غيرِ مُقَشّرٍ ، فيقالُ لهُ افركْهُ .

---

(٥١) الأصل : خمرة

(٥٢) المقصود ثلاث ليالي

فإنْ لم يكنْ في يدهِ أثرٌ ، فقد فلجَ*[٥٣] ، ولا قتلَ عليهِ ، ويغرَّمُ الذي ادَّعى عليهِ منّاً من ذهبٍ يقبضُهُ السلطانُ لنفسِهِ . وربَّما أغلوا الماءَ في قدرِ حديدٍ أو نحاسٍ حتى لا يقدرَ أحدٌ يدنو منهُ ، ثم يطرحُ فيهِ خاتمُ حديد ، ويقالُ : أَدْخِلْ يَدَكَ ، فتناولِ الخاتَم . وقد رأيتُ مَنْ أدخلَ يدَهُ وأخرجَها صحيحةً . ويغرَّمُ المدَّعي أيضاً مناً من ذهبٍ .

وإذا ماتَ الملكُ ببلادِ سرنديبِ ، صُيِّرَ على عجلةٍ قريباً مِنَ الأرضِ ، وعُلِّقَ في مؤخَّرِهَا مستلقياً على قفاه ، يجرُّ شعرُ رأسِهِ الترابَ عن الأرضِ ، وامرأةٌ بيدها مكنسةٌ تحثو[٥٤] الترابَ على رأسِهِ ، وتُنادي : أيُها الناسُ ، هذاملككُمْ بالأمسِ قد ملككُمْ ، وكانَ أمرهُ نافذاً فيكم ، وقد صارَ إلى ما ترونَ من تركِ الدنيا ، وأخذَ روحَهُ ملكُ الموتِ ، فلا تغترُّوا بالحياةِ بعدَهُ ، وكلاماً نحوَ هذا ثلاثَة أيامٍ . ثمَّ يُهَيَّأُ لَهُ الصندلُ* والكافورُ والزعفرانُ ، فيحرقُ بهِ ، ثم يُرْمَى برمادِهِ في الريحِ . والهندُ كلُّهم يحرقونَ موتاهم بالنارِ . وسرنديبُ آخرُ الجزائرِ ، وهي من بلادِ الهندِ . وربَّما أُحْرِقَ الملكُ ، فتدخلُ نساؤُه النارَ ، فيحترقنَ معهُ . وإنْ شئنَ لم يفعلنَ .

وببلادِ الهندِ مَنْ ينسبُ إلى السياحةِ في الغياضِ والجبالِ ، وقلَّما يعاشرُ الناسَ . يأكلُ أحياناً الحشيشَ وثمرَ الغياضِ ، ويجعلُ في إحليلِهِ حلقةَ حديد لئلا يأتيَ النساءَ . ومنهمُ العريانُ ، ومنهمُ مَنْ ينصبُ نفسَهُ للشمسِ مستقبلَها عرياناً ، إلاّ أنَّ عليهِ شيئاً من جلودِ النمورِ . فقد رأيتُ رجلاً منهمْ كما وصفتُ ، ثم انصرفتُ ، وعدتُ بعدَ ستَّ عشرةَ سنةً ، فرأيتهُ على تلك الحالِ ، فتعجبتُ كيفَ لم تسملْ[٥٥] عينهُ من حرِّ الشمسِ .

---

(٥٣) الأصل : فلح
(٥٤) الأصل تحثوا . حثا التراب : صبه
(٥٥) الأصل : تسل

وأهلُ بيتِ المملكةِ في كلِّ مملكةٍ أهلُ بيتٍ واحدٍ ، لا يخرجُ عنهم المُلْكُ ، ولهُمْ ولاةُ عهودٍ . وكذلك أهلُ الكتابةِ والطبِّ ، أهلُ بيوتاتٍ ، لا تكونُ الصناعةُ إلّا فيهم .

[١٠ - تباين التقاليد في الهند والصين]

[أ - ملوك الهند والصين واعتلاء العرش]

وليس تنقادُ ملوكُ الهندِ لملكٍ واحدٍ ، بل كلُّ واحدٍ ملكٌ ببلادِهِ . وبلهرا ملكُ الملوكِ بالهندِ . فأمّا الصينُ ، فليسَ لهمْ ولاةُ عهود .

وأهلُ الصينِ أهلُ ملاهي . وأهل الهندِ يعيبونَ الملاهي ، ولا يتّخذونها ، ولا يشربونَ الشرابَ ، ولا يأكلونَ الخلَّ ، لأنّه منَ الشرابِ . وليس ذلك ديناً ، بل أنفةً . ويقولونَ : أيُّ ملكٍ شربَ الشرابَ ، فليسَ بملكٍ . وذلك أنَّ حولَهُمْ ملوكاً يقاتلونَهم ، ويقولونَ : كيفَ يدبِّرُ أمرَ مُلكهِ مَنْ هو سكران ؟

وربّما اقتتلوا على المُلْكِ ، وذلك قليلٌ . لم أرَ أحداً غلبَ أحداً على مملكتِهِ ، إلّا قوماً تِلْوَ بلادِ الفلفلِ * . وإذا غُلِبَ ملكٌ على مملكته ، وُلِّيَ عليها رجل من أهلِ بيتِ المَلِكِ المغلوبِ ، ويكونَ منْ تحتِ يدهِ . لا يرضى أهلُ تُلك المملكةِ إلّا بذلك . فأمّا بلادُ الصين فربّما جارَ الملكُ الذي منْ تحتِ يَدِ الملكِ الأكبرِ ، فيذبحونَهُ ويأكلونَهُ . وكلُّ مَنْ قُتِلَ بالسيفِ ، أكلَ الصينيون لحمَهُ .

[ب - الزواج والسرقة واللواط في الهند والصين]

وأهلُ الهندِ والصين ، إذا أرادوا التزويج ، تهانؤُوا بينَهُمْ . ثم تهادَوا ، ثم يُشهرونَ التزويجَ بالصنوجِ والطبولِ . وهديَّتُهم مِنَ المالِ على قَدَرِ الإمكانِ . وإذا أحضرَ الرجلُ امرأةً ، فبغَتْ ، فعليها وعلى الباغي بها القتلُ في جميع بِلادِ

الهندِ . وإنْ زنى رجلٌ بامرأةٍ اغتصبَها نفسَها ، قُتِلَ الرجلُ وحدَهُ ، فإنْ فَجرَ بامرأةٍ على رضى منها ، قُتِلا جميعاً .

والسرقُ في جميع بلاد الصينِ والهندِ ، في القليلِ منه والكثير ، القتلُ . فأمّا الهندُ ، فإذا سرقَ السارقُ فلساً فما فوقَهُ ، أُخِذَتْ خشبةٌ طويلةٌ ، فيحدَّدُ طرفُها ، ثمَّ يُقَعَّدُ عليها على إسّتِهِ حتى تخرُجَ من خَلْفِهِ .

وأهُل الصينِ يلوطونَ بغلمانٍ قد أُقيموا لذلك بمنزلةِ زواني البَدَدَةِ .

[جـ - المنازل وتعدد الزوجات والطعام في الهند والصين]

وحيطانُ أهلِ الصينِ الخشبُ . وبناءُ أهلِ الهندِ حجارةٌ وجصٌّ وآجرٌّ وطينٌ . وكذلك ربّما كانَ بالصينِ أيضاً .

وليس الصينُ ولا الهندُ بأصحابِ فرشٍ . ويتزوَّجُ الرجُل منَ الصين والهند ما شاءَ منَ النساءِ . وطعامُ الهند الأرزُّ ، وطعامُ الصين الحنطةُ والأرزُّ . وأهلُ الهندِ لا يأكلونَ الحنطةَ .

[د - الختان وعبادة الأصنام وارسال اللحى في الهند والصين]

ولا يختتنُ الهندُ ولا الصينُ . وأهلُ الصينِ يعبدونَ الأصنامَ ، ويصلُّونَ لها ، ويتضرَّعونَ إليها ، ولهم كتبُ دينٍ . والهندُ يطوِّلونَ لحاهُمْ . ربَّما رأيت لحيةَ أحَدِهِمْ ثلاثَة أذرع . ولا يأخذونَ شواربَهم . وأكثُر أهلِ الصينِ لا لِحَى لهُمْ ، خلقةً لأكثرِهْم . وأهلُ الهند ، إذا ماتَ لأحدِهِمْ ميتٌ ، حلقَ رأسَهُ ولحيتَهُ .

[هـ - الحبس والقضاء والوحوش في الهند والصين]

والهندُ ، إذا حبسوا رجلاً ، أو لازموهُ ، مَنعوهُ الطعامَ والشرابَ سبعَة أيام ، وهم يتلازمونَ . ولأهل الصين قضاةٌ ، يحكمونَ بينَهم دونَ العمَّالِ . وكذلك أَهلُ الهند . والنمورُ والذئابُ ببلاد الصين جميعاً . فأمّا الأسْدُ ، فليسَتْ بكلتي الولايتين .

[و - قطاع الطرق والبددة والطهارة في الهند والصين]

ويُقْتَلُ قاطعُ الطريقِ . وأهلُ الصين والهند يزعمونَ أنَّ البدَدَة* تكلّمُهُمْ ، وإنَّما يكلّمهُمْ عُبّادُهُم . والصينُ والهندُ يقتلونَ ما يريدونَ أكلَهُ . ولا يذبحونَهُ . فيضربونَ هامَتَهُ حتّى يموتَ . ولا يغتسلُ الهندُ ولا الصينُ من جنابةٍ . وأهلُ الصينِ لا يستنجونَ إلاّ بالقراطيسِ . والهندُ يغتسلونَ كلَّ يومٍ قبلَ الغذاءِ ، ثم يأكلونَ . والهندُ لا يأتونَ النساءَ في الحيضِ ، ويخرجونهنَّ من منازلِهِمْ تقزُّزاً منهنَّ . والصين يأتونهنَّ في الحيضِ ولا يخرجونهنَّ . وأهلُ الهندِ يستاكونَ ، ولا يأكلُ أحدهُم حتّى يستاكَ ويغتسلَ . وليسَ يَفعلُ ذلك أهلُ الصين .

[ز - مقارنة الهند بالصين على الاجمال ، وما وراءهما]

وبلادُ الهندِ أوسعُ من بلادِ الصين ، وهي أضعافُها . وعددُ ملوكِهِمْ أكثرُ . وبلادُ الصين أعمرُ . وليسَ للصينِ ولا للهندِ نخلٌ . ولهم سايرُ الشجرِ ، وثمرٌ ليسَ عندنا . والهندُ لا عِنَبَ لهُمْ . وهو بالصينِ قليلٌ . وسائرُ الفواكهِ عندَهُمْ كثيرةٌ ، والرُّمانُ بالهندِ أكثرُ .

وليس لأهلِ الصينِ عِلْمٌ ، وإنَّما أصلُ ديانتِهِمْ منَ الهندِ . وهمْ يزعمونَ أنَّ الهندَ وضعوا لهم البددةَ ، وأَنَّهم هُم أهلُ الدينِ . وكلا البلدين يرجعونَ إلى التناسخِ ، ويختلفونَ في فروعِ دينِهِمْ .

والطبُّ بالهندِ والفلاسفةُ . ولأهلِ الصينِ أيضاً طبٌّ ، وأكثرُ طبِّهِمْ الكيُّ . ولهُمْ علمٌ بالنجومِ وذلك بالهندِ أكثَر . ولا أعلمُ أحداً منَ الفريقينِ مسلماً . ولا يتكلَّمُ بالعربيةِ .

وللهند خيلٌ قليلةٌ ، وهيَ بالصينِ أكثرُ . وليسَ للصينِ فيلةٌ ، ولا يتركونَها في بلادِهِمْ تشاؤماً بها وجنودُ ملوكِ الهندِ كثيرةٌ ، ولا يُرْزَقُونَ . وإنَّما يدعوهُمُ الملكُ إلى الجهادِ ، فيخرجونَ يُنفقونَ من أموالِهِمْ ، ليسَ على الملكِ من ذلك شيءٌ . فأمّا الصينُ ، فعطاؤُهمْ كعطاءِ العربِ .

وبلادُ الصينِ أنزهُ وأحسنُ . وأكثُر الهندِ ، لا مداينَ لها . وأهلُ الصينِ في كلِّ موضعٍ لهم مدينةٌ محصَّنةٌ عظيمةٌ . وبلادُ الصينِ أصحُّ أقلُّ أمراضاً وأطيبُ هواءاً ، لا يكادُ يُرى بها أعمى ولا أعور ، ولا مَنْ به عاهةٌ . وهذا[56] كثيرٌ ببلادِ الهندِ . وأنهارُ البلدينِ جميعاً عظامٌ ، فيها ما هو أعظمُ من أنهارِنَا . والأمطارُ بالبلدينِ جميعاً كثيرةٌ . وفي بلاد الهند مفاوز كثيرةٌ ، والصينُ كلُّها عمارةٌ وأهلُ الصينِ أجملُ من أهلِ الهندِ ، وأشبهُ بالعربِ في اللباسِ والدوابِ . وهم في هيئتِهِمْ وفي مواكبِهِمْ شبيهٌ بالعربِ ، يلبسونَ الأقبيةَ والمناطقَ . وأهلُ الهند يلبسونَ فوطتينِ ، ويتحلّونَ بأسورةِ الذهبِ والجوهرِ ، الرجالُ والنساءُ .

ووراء بلادِ الصينِ منَ الأرض التغزغزُ* . وهم منَ التركِ . وخاقانُ تُبَّتَ هذا ممَّا يلي بلادَ الترك . . فأمّا ما يلي البحرَ ، فجزايرُ السيلا . وهُمْ بيضٌ يهادونَ صاحبَ الصينِ ، ويزعمونَ أنَّهم ، إنْ لم يهادوهُ ، لم تُمطِرْهُمُ السماءُ . ولم يَبْلُغْهَا أحدٌ من أَصحابِنَا ، فيحكي عَنِهُمْ . ولَهُمْ بزاةٌ بيضٌ .

تم الكتاب الأول . نظر في هذا الكتاب الفقير محمد في سنة احدى عشرة[57] بعد الألف . أحسن الله عاقبتها وما بعدها آمين . اللهم اغفر لكاتبه ووالديه والمسلمين[58]

---

(٥٦) الأصل : وهكذا .

(٥٧) الأصل : احد عشر

(٥٨) هذا الكلام للناسخ

الكتاب الثاني

من

أخبار الصين والهند

[١١ ـ الكتاب الأول يحوي ، حسب ابي زيد ، الحقيقة والصدق ما عدا طعام الموتى]

قال أبو زيد الحسنُ السيرافي : إنّني نظرتُ في هذا الكتابِ ، يعني الكتابَ الأولَ ، الذي أُمِرْتُ بتأمُّلِهِ وإثباتِ ما وقفتُ عليهِ من أمرِ البَحْرِ ومُلوكِهِ وأحوالِهِمْ ، وما عرفتُهُ من أحاديثِهِمْ ، ممَّا لم يدخلْ فيهِ ، فوجدتُ تاريخَ الكتابِ في سنةِ سبعٍ وثلاثينَ ومايتين ، وأمورُ البَحْرِ في ذلك الوقتِ مستقيمةٌ ، **لكثرةِ اختلافِ• التجّارِ اليها منَ العراقِ** . ووجدتُ جميعَ ما حُكِيَ في الكتابِ على سبيلِ حقٍّ وصِدْقٍ ، إلاّ ما ذُكِرَ فيهِ عَنِ الطعامِ الذي يُقدِّمُهُ أهلُ الصينِ الى الموتى منهم ، وأنَّهُ إذا وُضِعَ بالليلِ عندَ الميتِ ، أصبحوا فلَمْ يُوْجَدْ ، وادَّعوا أنَّهُ يَأكلُهُ . فقد كانَ بَلَغَنَا هذا ، حتى وردَ علينا منْ ناحيتهمْ مَنْ وَثِقْنَا بِخَبَرِهِ ، فسألناهُ عن ذلك ، فأنكرهُ ، وقالَ هي دعوى لا أصلَ لها كدعوى أهلِ الأوثانِ انَّها تكلِّمُهُمْ .

[١٢ - سيطرة ثورة سنة ٢٦٤هـ/٨٧٨م في الصين وتبدل أحوالها]

وقد تغيَّرَ بعدَ هذا التاريخِ أمرُ الصينِ خاصَّةً ، وحدثَتْ فيها[٥٩] حوادثُ ، انقطعَ لها الجهازُ* اليهمْ ، وخَرِبَ البلدُ ، وزالَتْ رسومُهُ ، وتفرَّقَ أمرُهُ . وأنا أشرحُ ما وقفتُ عليه منَ السببِ في ذلك إنْ شاءَ الله .

السببُ في تغيُّرِ أمرِ الصينِ عمَّا كانَ عليهِ منَ الأحكامِ والعدلِ وانقطاعِ الجهازِ اليهِ من سيراف ،أنَّ نابغاً نَبَغَ* فيهم من غير بيتِ الملك ، يُعْرَفُ بيان شو[٦٠]* . وكانَ مبتدأُ أمرهِ الشطارةَ والفتوَّةَ وحملَ السلاحِ والعيثَ واجتماعَ السفهاءِ اليه ، حتى اشتدَّتْ شوكتُهُ ، وكثرُ عددُهُ ، واستحكمَ طَمَعُهُ .

فقصدَ خانفو[٦١] من بين مُدنِ الصين ، وهي المدينةُ التي يقصدُها تجار العربِ ، وبينها وبينَ البحرِ مسيرةُ أيامٍ يسيرةٍ . وهي على وَادٍ عظيمٍ ، وماءٍ عَذْبٍ . فامتنعَ أهلُها عليه ، فحاصَرَهُمْ مدَّةً طويلةً ، وذلكَ في سنةِ أربعٍ وستينَ ومايتين ، الى أن ظفرَ بها . فوضعَ السيفَ في أهلِها . فذكرَ أهلُ الخبرةِ بأمورهم أنَّهُ قَتَلَ من المسلمين واليهودِ والنصارى والمجوسِ ، سوى مَنْ قتلَ من أهلِ الصينِ ، مايةَ وعشرين[٦٢] ألف رجل ، كانوا تبوءوا بهذه المدينةِ ، فصاروا بها تجاراً . وإنَّما عُرِفَ مقدارُ عَدَدِ هذه المِلَلِ الأربعِ ، لتحصيلِ أهْلِ الصينِ بعددِهِمْ . وقَطَعَ ما كانَ فيهِ من شجرِ التوتِ[٦٣] وسايرِ الأشجارِ . وذكرنا شجرَ التوتِ[٦٣] خصوصاً لإعداد أهلِ الصينِ وَرَقَهُ لِدُودِ القزِّ حتى يلفَّ الدودُ . فصارَ سبباً لانقطاعِ الحريرِ خاصَّةً عن بلادِ العربِ .

---

(٥٩) الأصل : فيه .
(٦٠) الأصل : ببابشوا .
(٦١) الأصل : حانفوا .
(٦٢) الأصل : عشرون .
(٦٣) الأصل : التوث .

ثم قصدَ بعدَ تخريبِ خانفو الى بلَدٍ بلد ، فأخربهُ ، وعجزَ ملكُ الصينِ عَنْهُ الى أنْ قارَبَ مدينةَ المَلِكِ ، وتُعْرَفُ بخمدان .• فهربَ الملكُ منه الى مدينةِ بَمْذُو• ، المتاخمةِ لبلادِ التُّبَّتِ . فأقامَ بها ، ودامَتْ أيامُ هذا النابغِ ، وعظُمَ شأنُهُ . وكانَ قصدُهُ ووَكْدُهُ خرابَ المدنِ وقتلَ أهْلِها ، إذْ لم يكُنْ من بيتِ مَلِكٍ ومَنْ يطمع في اتساقِ الأمرِ لهُ . فبلغَ من ذلك مبلغاً ، فسدَ بِهِ أمرُ الصين الى وقتنا هذا .

[١٣ ـ قضاء ملك التغزغز على ثورة يانشو والتعدي على نواخذة العرب وارباب المراكب والتجار]

ولم تَزَلْ تلكَ حالُ هذا النابغِ الى أنْ كَتَبَ ملكُ الصينِ الى مَلِكِ التغزغزِ من بلادِ التركِ وبينَهُمْ مجاورةٌ ومصاهرةٌ . ووجَّهَ اليهِ رسلاً يسألُهُ كشفَ هذا الرجلِ عَنْهُ . فأنفذَ ملكُ التغزغزِ ابناً لهُ الى هذا النابغِ في عددٍ كثيرٍ وجموعٍ وافرةٍ ، فأزالَهُ بعدَ حروبٍ مُتَّصلةٍ ، ووقايعَ عظيمةٍ . فزعمَ قومٌ أنَّهُ قُتِلَ ، وزعمَ آخرونَ أنَّهُ ماتَ . وعادَ ملكُ الصينِ الى بلدِهِ المعروفِ بخمدان . وقد أخربَهُ عليهِ ، وعلى سبيلِ ضَعفٍ في نفسهِ ، ونَقْصٍ في أموالِهِ ، وهلاكَ قوَّادِهِ ، وصناديدِ رجالِهِ وكُفَاتِهِ . وغَلَبَ مع ذلك على كلٍّ ناحيةٍ متغلِّبٌ منعَ من أموالِها وتمسَّكَ بها في يدِهِ منها . فدعَتْ ملكَ الصينِ الضرورةُ ، لقصورِ يدِهِ ، الى قبولِ العفوِ* منهم بإظهارِ الطاعةِ والدعا لهُ ، دونَ السمعِ والطاعةِ في الأموالِ وما كانَ من الملوكِ ينفذُ فيهِ . فصارَتْ بلادُ الصينِ على سبيلِ ما جَرتْ عليهِ أحوالُ الأكاسرةِ عندَ قتلِ الإسكندرِ• لدارا الكبيرِ• ، وقسمتِهِ أرضَ فارسَ على ملوكِ الطوايفِ . وصارَ بعضُهم يعضدُ بعضاً للمغالبةِ بغيرِ إذنِ الملكِ ولا أمرِهِ . فإذا أناخَ القويُّ منهم على الضعيفِ ، تغلَّبَ على بلادِهِ ، واجتاحَ ما فيهِ ، وأكلَ ناسَهُ كلَّهُمْ . وذلك مباحٌ لهم في شريعتِهِمْ ، ولأنَّهم يتبايعونَ لحومَ الناسِ في أسواقِهِمْ . وامتدَّتْ أيديهِمْ مع ذلك الى ظُلمِ من قصدَهُمْ من التجارِ . ولمَّا

حدثَ هذا فيهم ، التأمَ اليهِ ظهورُ الظلمِ والتعدي في نواخذةِ* العرب وأرباب المراكبِ* . فألزموا التجارَ ما لا يجبُ عليهم ، وغلبوهُمْ على أموالهِم ، واستجازوا ما لم يَجْرِ الرسمُ به قديماً في شيء من أفعالهم . فنزعَ الله ، جلَّ ذكرُهُ ، البركاتِ منهُمْ جميعاً ، ومنعَ البحرُ جانبَهُ ، ووقعَ الفنا بالمقدار الجاري من المُدَبِّرِ ، تباركَ اسمُه ، في الربابنةِ والأدلاَّءِ بسيراف وعمان .

[١٤ - قتل الزاني والبغاء في الصين]

وذَكَرَ في الكتابِ طرفا من سنن أهل الصين . ولم يذكر غيرهُ . وهو سبيلُ المحصَّنِ والمحصَّنة عندَهُمْ ، إذا زنيا ، القتلُ . وكذلك اللصُّ والقاتلُ . وسبيلهُمْ في القتلِ أن تُشد يدا من يريدون قتلهُ وثيقا ، ثم تُطرحُ في رأسهِ حتى يصيرا على عُنُقِهِ . ثم تُدَخَلُ رجلهُ اليمنى فيما ينفذُ من يدهِ اليمنى ، ورجلهُ اليسرى فيما ينفذُ من يدهِ اليسرى ، فتصيرُ قدماهُ جميعاً من ورائِهِ ، ويتقبضُ ، ويبقى كالكرةِ لا حيلةَ لهُ في نفسهِ . ويستغني عن ممسك يمسكه . وعندَ ذلك تزولُ عنقُهُ عن مركبِها وتتزايلُ خرزات ظهرهِ عن بطنِهَا، وتختلفُ وركاهُ ، ويتداخلُ بعضهُ في بعض . وتضيقُ نفسهُ . ويصيرُ في حالٍ ، لو تركَ على ما هو به بعضَ ساعة ، لتلفَ . فإذا بلغَ منه ، ضربَ بخشبةٍ لهم معروفةٍ على مقاتلهِ ضرباتٍ معروفةٍ ، لا تتجاوزُ . فليسَ دونَ نفسهِ . ثم يدفعُ الى مَنْ يأكلُهُ.

وفيهم نساءٌ لا يردنَ الإحصانَ ، ويرغبنَ في الزنا . وسبيلُ هذا أنْ تحضرَ مجلسَ صاحبِ الشرط ، فتذكرُ زهدَها في الإحصان ، ورغبتها في الدخولِ في جملةِ الزواني . وتسألُ حملها على الرسمِ في مثِلهَا ومنْ رسمهمْ فيمن أرادَ ذلك من النساء ، أنَ تكتبَ نسبَها وحليتَها وموضعَ منزِلهَا ، وتُثبتَ في ديوانِ الزواني ، ويُجعلَ في عُنُقِها خيطٌ فيهِ خاتَم من نحاسٍ مطبوعٍ بخاتمِ الملكِ ، ويُدْفَعُ اليها منشور ، يذكر فيه دخولُها في جملةِ الزواني ، وأنَ عليها لبيت المالِ في كلِّ سنةٍ كذا وكذا فلساً ، وأنَّ منْ تزوجَها ، فعليه ، القتلُ . فتودي في كل

سنةٍ ما عليها ، ويزول الإنكارُ عنها . فهذه الطبقةُ من النساءِ يرحنَ بالعشيات عليهنَّ ألوانُ الثيابِ من غير استتارٍ . فيصرن الى من طَرَا[٦٤] الى تلك البلادِ منَ الغرباءِ من أهل الفسقِ والفسادِ واهل الصين . فيقمنَ عندهم وينصرفن بالغدوات . ونحنُ نحمدُ الله على ماطهرنا بهِ من هذه الفتنِ .

[١٥ ـ عملة الصين وبيوتها وخدم ملوكها ومهارة الصينيين في النقش والصناعة]

وأمّا تعامُلُهمْ بالفلوس ، فالسبب فيه إنكارهُمْ على المتعاملينَ بالدنانيرِ الدراهمِ ، أنَّ لصاً لودخلَ منزلَ رجلٍ من العربِ المتعاملين بالدنانير والدراهم ، لتهيأَ لهُ حملُ عشرةِ آلافِ دينارٍ ومثلها منَ الورقِ على عنقِهِ ، فيكونُ فيها عَطَبُ صاحبِ المالِ ، وأنَّ لصاً لو دخل الى رجلٍ منهم ، لم يحمل أكثرَ من عشرةِ آلافِ فلس ، وإنما ذلك عشرة مثاقيل* ذهبٍ .

وهذه الفلوسُ معمولةٌ من نحاسٍ وأخلاطٍ من غيره معجونةٍ بهِ . والفلسُ منها في قدرِ الدرهمِ البغليّ* ، وفي وسطِهِ ثقبٌ واسعٌ ، ليفردَ الخيط فيه . وقيمة كُلِّ الفِ فلسٍ منها مثقالٌ من ذهبٍ . وينظمُ الخيط منها ألف فلسٍ ، على رأسِ كل مائة عقدةٌ . فاذا ابتاع المبتاعُ ضياعاً او متاعاً أو بقلاً ، فما فوقه ، دفع من هذه الفلوسِ على قدرِ الثمنِ . وهي موجودةٌ بسيراف ، وعليها نقش بكتابتهمْ .

وأما الحريقُ ببلادِ الصينِ والبناءُ ، وما ذُكِرَ فيهِ ، فالبلدُ مبنيٌّ على ما قيلَ من خشبٍ ومن قنا مشبَّكٍ ، على مثالِ **الشقاق القصب عندَنَا** . ويلَيَّطُ بالطينِ وبعلاجٍ لَهُمْ يتَّخذونَهُ من حبِّ الشهدانج* ، فيصيرُ في بَياضِ اللبنِ ، تُدْهَنُ بهِ الجُدُرُ ، فيشرقُ إشراقاً عجيباً . وليس لبيوتِهِمْ عتبٌ ، لأنَّ أملاكَهُمْ وذخايرَهُمْ

---

(٦٤) الأصل : طرى . وطرا : جاء فجأة من بعيد .

وما تحويهِ أيديهِمْ في صناديقَ مركَّبةٍ على عَجَلٍ تدورُ بها . فإذا وَقَعَ الحريقُ ، دُفِعَتْ تلكَ الصناديقُ بما فيها ، فلم يمنَعها العتبُ من سُرعةِ النفوذِ .

وأما أمرُ الخدمِ ، فَذُكِرَ مُجْمَلاً ، وإنَّما هُمْ ولاةُ الخراجِ ، وأبوابُ المالِ . فمنهم من قد سُبِيَ من الأطرافِ فَخُصِيَ . ومنهُمْ مَنْ يَخصيهِ والدُهُ من أهلِ الصينِ ، ويهديهِ الى المَلِكِ تقرُّباً بِهِ اليه . فأمورُ الملكِ في خاصَّتِهِ وخَزَايِنِهِ ، ومَنْ يتوجَّهُ الى مدينةِ خانفو التي يقصدُ اليها تجارُ العرب ، هُمُ الخدمُ . ومن سُنَنِهِمْ في ركوبِ هؤلاءِ الخدمِ وملوكِ سايرِ المدنِ ، إذا ركبُوا ، أنْ يتقدَّمَهُمْ رجالٌ بخشبٍ تُشبهُ النواقيسَ ، يضربونَ بها ، فتُسْمَعُ من بعدٍ ، فلا يقفُ أحدٌ من الرعيَّةِ في شيءٍ من ذلك الطريقِ الذي يريدُ الخادمُ أو الملكُ أنْ يمرَّ فيهِ . ومَنْ كانَ على بابِ دارِهِ دَخَلَها ، وأغلقَ البابَ دونَهُ ، حتى يكونَ اجتيازُ الخادمِ أو الملكِ المملَّكِ على تلك المدينةِ ، وليسَ في طريقِهِ أحدٌ ، من العامَّةِ ، ترهيباً وتجبُّراً ، وليلاَّ يكثرَ نظرُ العامَّةِ اليهم . ولا يمتدُّ لسانُ أحدٍ الى الكلامِ معهُمْ . ولباسُ خَدَمِهِمْ ، ووجُوهِ قُوَّادِهِمْ ، فاخرُ الحريرِ الذي لا يُحْمَلُ مثلُهُ الى بلاد العربِ من عندهمْ لمبالغتهم في اثمانه (٦٥) . وذكرَ رجلٌ من وجوهِ التجَّارِ ، ومَنْ لا يُشَكُّ في خبرِهِ ، أنَّهُ صارَ الى خصيٍّ ، كانَ الملكُ أنفذَهُ الى مدينةِ خانفو ، لتخيُّرِ ما يحتاجُ اليهِ من الأمتعةِ الواردةِ من بلاد العرب ، فرأى على صَدْرِهِ خالاً يشفُّ من تحتِ ثيابِ حريرٍ كانَتْ عليهِ ، فقدَّرَ أنَّهُ قد ضاعفَ بين ثوبين منها . فلمَّا ألحَّ في النظرِ ، قالَ لهُ الخصيُّ : أراكَ تُديمُ النظرَ الى صدري ، فَلِمْ ذلك ؟ فقالَ لهُ الرجلُ : عجبتُ من خالٍ يشفُّ من تحتِ هذه الثيابِ . فضحكَ الخصيُّ ، ثم طرحَ كُمَّ قميصِهِ الى الرجلِ ، وقالَ لهُ : اعدُدْ ما عليَّ منها ، فوجدَها خمسةَ أقبيةٍ بعضُها فوقَ بعضٍ ، والخالُ يشفُّ من تَحْتِها . والذي هذه صفتُهُ مِنَ الحريرِ خامٌ غيرُ مقصورٍ . والذي يلبسُهُ ملوكُهُمْ ، أرفعُ من هذا وأعجبُ .

---

(٦٥) الأصل : الى بلاد العرب عندهم ومبالغتهم في اثمانيه ، والتقويم يفرضه السياق .

وأهلُ الصينِ من أحذقِ خَلْقِ الله كفًّا بنقشٍ وصناعةٍ . وكلُّ عَمَلٍ لا يقدمُهُمْ فيهِ أحدٌ من سايرِ الأممِ . والرجلُ منهُمْ يصنعُ بيدِهِ ما يُقَدِّرُ أنَّ غيرَهُ يعجزُ عنهُ ، فيقصدُ بهِ بابَ الملكَ يلتمسُ الجزاءَ على لطيفِ ما ابتدعَ . فيأمرُ الملكُ بنصبِهِ على بابِهِ من وقتِهِ ذلك الى سنةٍ . فإنْ لم يُخْرِجْ أحدٌ فيهِ عيباً ، جازاهُ وأدخلَهُ في جُملةِ صُنَّاعِهِ . وإنْ أُخرجَ فيهِ عيبٌ ، اطَّرحَهُ ، ولم يُجازِهِ .

وإنَّ رجلاً منهُمْ صوَّرَ سنبلةً عليها عصفورٌ في ثوبِ حريرٍ ، لا يشكُّ الناظرُ اليها أنَّها سنبلةٌ ، وأنَّ عصفوراً عليها . فبقيَتْ مدَّةً . وإنَّهُ اجتازَ بها رجلٌ أحدبُ ، فعابَها ، فأُدْخِلَ الى ملكِ ذلكَ البلدِ ، وحضرَ صانعُها . فسُئِلَ الأحدبُ عن العيبِ ، فقالَ : المتعارفُ عندَ الناسِ جميعاً ، أنَّهُ لا يقعُ عصفورٌ على سنبلةٍ إلَّا أمالَها . وإنَّ هذا المصوِّرَ صوَّرَ السنبلةَ قايمةً لا ميلَ لها ، وأثبتَ العصفورَ فوقَها منتصباً ، فأخطأَ . فَصُدِّقَ ، ولم يُثِبِ الملكُ صانعَها بشيٍ . وقصدُهُمْ في هذا وشَبَهِهِ رياضةُ مَن يعملُ[٦٦] هذه الأشياءَ ، ليضطرَّهُمْ ذلكَ الى شدةِ الاحترازِ وإعمالِ الفكرِ فيما يصنعُ كلٌّ منهُمْ بيدِهِ .

[١٦ - رحلة ابن وهب الى الصين]

وقد كانَ بالبصرةِ رجلٌ من قريش ، يُعْرَفُ بابنِ وَهْبٍ ، . منْ وُلْدِ هبَّارِ بنِ الأسودِ ، خَرَجَ منها عند خرابِها ، فوَقَعَ الى سيراف ، وكانَ فيها مركبٌ يريدُ بلادَ الصين . فنزعَتْ بهِ همَّتُهُ بالمقدارِ الجاري على أنْ ركبَ في ذلك المركبِ الى بلادِ الصينِ . ثم نزعَتْ بهِ همَّتُهُ الى قَصْدِ ملِكِها الكبيرِ ، فسارَ الى خمدانَ في مقدارِ شهرينِ منَ المدينةِ المعروفةِ بخانفو . وأقامَ ببابِ الملكِ مدَّةً طويلةً يرفعُ الرقاعَ ، ويذكرُ أنَّهُ من أهلِ بيتِ نبوَّةِ العربِ . فأمرَ الملكُ بعدَ هذه المدَّةِ بإنزالِهِ في بَعضِ المساكنِ وإزاحَةِ علَّتِهِ فيما يحتاجُ اليه . وكتَبَ الملكُ الى

---

(٦٦) الأصل : يعل .

الوالي المستخلفِ ، المقيم بخانفو ، يأمرُهُ بالبحثِ ومسألةِ التجارِ عمَّا يدَّعيهِ الرجلُ من قرابةِ نبيِّ العربِ ، صلى الله عليه ، فكتبَ صاحبُ خانفو بصحَّةِ نَسَبِهِ ، فأذِنَ لهُ ، ووصلَهُ بمالٍ واسعٍ عادَ بهِ الى العراقِ . وكانَ شيخاً فهماً .

[آ ـ انتصار العرب على العجم وتصنيف ملوك العالم]

فأخبَرَنا أنَّهُ لمَّا وصلَ اليه ، وسايَلَهُ عَنِ العربِ ، وكيفَ أزالوا مُلْكَ العَجَمِ . فقالَ لهُ : باللهِ ، جلَّ ذكرُهُ ، وبما كانَتِ العجمُ عليهِ من عبادةِ النيرانِ والسجودِ للشمسِ وللقمرِ من دونِ الله . فقالَ : لقد غَلَبَتِ العربُ على أجلِّ الممالكِ ، وأوسعِهَا ريفاً ، وأكثرِها أموالاً ، وأعقلِها رجالاً ، وأبعدِها صوتاً .

ثم قالَ لهُ : فما منزلةُ سايرِ الملوكِ عندَكُمْ . فقالَ : ما لي بهمْ علمٌ . فقالَ للترجمان : قُلْ لهُ إنَّا نُعِدُّ الملوكَ خمسةً . فأوسعُهُمْ مُلْكاً الذي يملكُ العراقَ ، لأنَّهُ في وسطِ الدنيا ، والملوكُ مُحدقةٌ بهِ . ونجدُ اسمَهُ عندنا ملكَ الملوكِ . وبعدَهُ ملكُنا هذا ، ونجدُهُ عندَنا ملكَ الناسِ ، لأنَّهُ لا أحدَ مِنَ الملوكِ أسوسُ منَّا ، ولا أضبطُ لمُلْكِهِ من ضَبْطِنَا لمُلْكِنَا ، ولا رعيَّةَ مِنَ الرعايا أطوعُ لملوكِها من رعيَّتِنَا . فنحنُ ملوكُ الناسِ ومنْ بعدِنَا ملكُ السباعِ ، وهو ملكُ التركِ الذي يلينا . وبعدَهُمْ ملكُ الفِيَلَةِ ، وهو ملكُ الهندِ ، ونجدُهُ عندنا ملكَ الحكمةِ ، لأنَّ أصلَها منهُمْ . وبعدَهُ ملكُ الرومِ ، وهو عندنا ملكُ الرجالِ ، لأنَّ ليسَ في الأرضِ أتمَّ خلقاً من رجالِهِ ، ولا أحسنَ وجوهاً . فهؤلاء أعيانُ الملوكِ ، والباقونَ دونَهُمْ .

[ب ـ صور الأنبياء]

ثم قالَ للترجمان : قُلْ لهُ أتعرفُ صاحبَكَ إنْ رأيتَهُ ، يعني رسولَ الله ، صلَّى الله عليه . فقلتُ : وكيفَ لي برؤيَتِهِ ، وهو عندَ الله ، جلَّ وعزَّ ؟ فقالَ : لم أُرِدْ هذا ، إنَّما أردتُ صورَتَهُ . فقالَ أجَلْ .

فأمرَ بسَفَطٍ* ، فأُخْرِجَ . فوُضِعَ بينَ يديهِ . فتناولَ منهُ دَرْجاً* ، وقالَ للترجمان : أرِهِ صاحبَهُ . فرأيتُ في الدَّرْجِ صُوَرَ الأنبياءِ . فحركتُ شفتي بالصلاةِ عليهم . ولم يكنْ عندَهُ أنّي أعرفُهُمْ . فقالَ للترجمان : سَلْهُ عن تحريكِ شفتيهِ . فسألني . فقلتُ أُصَلّي على الأنبياءِ . فقالَ : منْ أينَ عرفتَهُمْ ؟ فقلتُ : بما صُوِّرَ من أمرِهِمْ . هذا نوحٌ في السفينةِ ينجو بمَنْ معهُ ، لمَّا أمرَ الله ، جلَّ ذكرُهُ ، الماءَ ، فغَمَرَ الأرضَ كلَّها بمَنْ فيها ، وسلَّمَهُ ومَنْ مَعَهُ . فضحكَ وقالَ : أمَّا نوحٌ فقد صدقتَ بتسميَتِهِ . وأمَّا غرقُ الأرضِ كلِّها ، فلا نعرفُهُ ، وإنَّما أخذَ الطوفانُ قطعةً من الأرضِ ، ولم يَصِلْ الى أرضِنَا ولا أرضِ الهندِ . قالَ ابنُ وهبٍ : فتهيّبتُ الردَّ عليهِ ، وإقامةَ الحجّةِ ، لعلمي بدَفْعِهِ ذلك .

ثم قلتُ : هذا موسى وعصاهُ وبنو اسرائيل . فقالَ : نعم ، على قلَّةِ البلدِ الذي كانَ بهِ ، وفسادِ قَومِهِ عليهِ . فقلتُ : وهذا عيسى على حمارٍ والحواريون مَعَهُ . فقالَ : لقد كانَ قصيرَ المدَّةِ ، إنَّما كانَ عمرُهُ يزيدُ على ثلاثينَ سنةً(٦٧) شيأً يسيراً . وعدَّدَ من أمرِ سايرِ الأنبياءِ ما اقتصرنا على ذكر بَعضِهِ وزعمَ أنَّهُ رأى فوقَ كلِّ صورةٍ لنبي كتابةً طويلةً ، قدَّرَ أنَّ فيها ذكرَ أسمايهِمْ ومواقعَ بلدانِهِمْ ، وأسبابَ نبواتِهِمْ . ثم قالَ : رأيتُ صورةَ النبي ، صلَّى الله عليه وسلَّم ، على جَمَلٍ ، وأصحابُهُ محدقونَ بهِ على إبلِهِمْ ، في أرجلِهِمْ نعالٌ عربيةٌ ، وفي أوساطِهِمْ مساويكُ مشدودةٌ . فبكيتُ . فقالَ للترجمان : سَلْهُ عن بكايِهِ . فقلتُ : هذا نبيُّنا وسيدُنا وابنُ عمي ، عليه السلامُ . فقالَ : صدقتَ . لقد ملكَ هو وقومُهُ أجلَّ الممالِكِ ، إلّا أنَّهُ لم يعاينْ ما مَلَكَ ، إنَّما عايَنَهُ مَنْ بَعدَهُ . ورأيتُ صورَ أنبياءِ ذوي عددٍ كثيرٍ ، مِنْهُمْ مَنْ قد أشارَ بيدِهِ اليمنى وجمعَ بينَ الابهامِ والسبابةِ كأنَّهُ يومي في إشارتِهِ الى الحقِّ ، ومِنْهُمْ قايمٌ على رجلِهِ ،

(٦٧) الأصل : ثلاثين شهراً .

مشيرٌ بأصابعِهِ الى السماءِ ، وغير ذلك . زعمَ الترجمان أنَّهُمْ من أنبيايِهِمْ وأنبياءِ الهندِ . ثمَّ سألني عَنِ الخلفاء وزيِّهم وكثيرٍ من الشرايعِ ووجوهِها ، على قدَرِ ما أعلمُ منها .

[جـ- عمر الدنيا وسبب رحلة ابن وهب]

ثم قالَ : كمْ عمرُ الدنيا عندكم ؟ فقلتُ : قد اختُلِفَ فيهِ . فبعضٌ يقولُ ستةَ آلاف[٦٨] سنة . وبعضٌ يقولُ دونَها . وبعضٌ يقولُ أكثرَ منها ، إلاّ أنَّهُ بيسيرٍ . فضحكَ ضحكاً كثيراً ، ووزيرُه أيضاً واقفٌ دلَّ على إنكارِهِ ذلك . وقالَ : ما أحسبُ نبيَّكم قالَ هذا . فزللتُ وقلت بلى هو قالَ ذلكَ . فرأيتُ الإنكارَ في وَجْهِهِ .

ثمَّ قالَ للترجمان : قُلْ لَهُ مَيِّزْ كلامَكَ ، فإنَّ الملوكَ لا تكلّم إلاّ عن تحصيل . أما ما زعمتَ أنَّكم تختلفونَ في ذلك ، فإنَّكم إنَّما اختلفتُمْ في قولِ نبيِّكُمْ . وما قالَتْهُ الأنبياءُ لا يجبُ أن يُخْتَلَفَ فيهِ ، بل هُوَ مُسَلَّمٌ . فاحذَرْ هذا وشَبَهَهُ أنْ تحكيَهُ . وذكرَ أشياءَ كثيرةً قد ذهَبَتْ عنّي لطولِ العَهْدِ .

ثمَّ قالَ لي : لِمْ عَدَلْتَ عن مُلْكِكَ ، وهو أقربُ اليكَ منَّا داراً ونسباً . فقلتُ : بما حَدَثَ على البصرةِ ، ووقوعي الى سيراف ، ونظري الى مركب ينفذُ الى الصينِ ، وما بلغني من جلالِ مَلِكِ الصينِ ، وكثرةِ الخيرِ بهِ . فأحببتُ الوقوعَ الى تلكَ الناحيةِ ، ومشاهدَتِها . وأنا راجعٌ عنها الى بلادي ومُلْكِ ابنِ عمِّي ، ومُخبِرُهُ بما شاهدتُ من جَلالِ هذا الملكِ وسِعَةِ هذه البلادِ . وسأقولُ بكلِّ حَسَنٍ ، وأثني بكلِّ جميلٍ . فسرَّهُ ذلك ، وأمرَ لي بالجايزةِ السنيَّةِ ، وبحملي على بغالِ البريدِ الى مدينة خانفو ، وكتبَ الى مِلكها بإكرامي وتقديمي على جميعِ مَنْ في ناحيتِهِ من سايرِ الملوكِ ، وإقامةِ النزل لي الى

---

(٦٨) الأصل : ستة ألف .

وَقْتِ خروجي . فكنتُ في أخصبِ عيشٍ وأنْعَمِهِ ، الى أنْ خرجتُ من بلادِ الصينِ .

[د ـ وصف مدينة خمدان واتصال البحار]

فسألناهُ عن مدينةِ خمدانَ التي بها الملكُ فوَصَفَها ، فذكرَ سعةَ البلدِ ، وكثرةَ أهْلِهِ ، وأنَّهُ مقسومٌ على قسمين ، يفصلُ بينهما شارعٌ طويلٌ عريضٌ . فالملكُ ووزيرُهُ وجنودُهُ وقاضي القضاةِ وخصيانُ الملكِ ، وجميعُ أسبابِهِ في الشقِّ الأيمنِ منهُ وما يلي المشرقَ ، لا يُخالِطُهُمْ أحدٌ مِنَ العامَّةِ ، ولا فيهِ شيءٌ من الأسواقِ ، بأنهارٍ في سككِهِمْ مطّردةٍ ، وأشجارٍ عليها منتظمةٍ ، ومنازلَ فسيحةٍ .

وفي الشقِّ الأيسرِ ممَّا يلي المغربَ ، الرعيَّةُ والتجَّارُ والميسرةُ والأسواقُ . وإذا وضحَ النهارُ ، رأيتَ قهارمةَ الملكِ وأسبابَهُ وغلمانَ دارِهِ وغلمانَ القوَّادِ ووكلايهم ، من بين راكبٍ وراجلٍ ، قد دخلوا الى الشقِّ الذي فيهِ الأسواقُ والتجارُ ، فأخذوا وظايفَهم وحوايجَهم . ثمَّ انصرفوا ، فلم يعُدْ أحدٌ منهُمْ الى هذا الشقِّ إلاّ في اليوم الثاني . وإنَّ بهذا البلدِ من كلِّ نزهةٍ وغيضةٍ(٦٩) حسنةٍ وأنهار مطّردة إلاّ النحلَ فإنَّهُ معدومٌ .

وممَّا حدثَ في زمانِنَا هذا ، ولم يعرفْهُ مَنْ تقدَّمنا ، أنَّهُ لم يكنْ أحدٌ يقدِّرُ أنَّ البحرَ الذي عليهِ بحرُ الصينِ والهندِ ، يتَّصِلُ ببحرِ الشامِ . ولا يقومُ في أنفسهم حتى كانَ في عصرِنا هذا . فإنَّهُ بلغَنا أنَّهُ وُجِدَ في بَحرِ الروم خشبُ مراكبِ العربِ المخروزةِ التي قد تكسَّرَتْ بأهلِها ، فقطعَها الموجُ ، وساقَتْها الرياحُ بأمواجِ البحرِ ، فقذفَتْهُ الى بحرِ الخزرِ ، ثمَّ جرى في خليجِ الرومِ ، ونفذَ منهُ الى بحرِ الرومِ والشامِ . فدلَّ هذا على أنَّ البحرَ يدورُ على بلادِ الصينِ والسيلا وظَهْرِ بلادِ التركِ والخَزَرِ . ثمَّ يصبُّ في الخليجِ ، ويفضي الى

(٦٩) الأصل : غيظة .

بلادِ الشامِ . وذلكَ أنَّ الخشبَ المخروزَ لا يكونُ إلاّ لمراكب سيراف• خاصّة . ومراكب الشامِ• والرومِ مسمورةٌ غيرُ مخروزةٍ . وبلغَنا أيضاً أنَّهُ وُجِدَ ببحرِ الشامِ عنبرٌ . وهذا مِنَ المُسْتنكرِ ، وما لم يُعْرَفْ في قِدَمِ الدهورِ ، ولا يجوزُ إنْ كانَ ما قيلَ حقّاً أن يكونَ العنبرُ وقَعَ الى بحرِ الشامِ إلاّ منْ بحرِ عدن والقلزم وهو البحرُ الذي يتّصلُ بالبحارِ التي يكونُ فيها العنبرُ ، لأنَّ الله ، جلَّ ذكرُهُ ، قد جَعَلَ بينَ البحرينِ حاجزاً ، بل هو إنْ كانَ صحيحاً ، ممَّا يقذفُهُ بحرُ الهندِ الى سايرِ البحارِ واحداً بعدَ واحدٍ حتى يفضي بهِ الى بحرِ الشامِ .

[١٧ ـ مملكة الزابج وجزرها ومواردها ولبنات ذهب ملوكها]

ذكر مدينة الزابج

ثم نبتدىء بذكرِ مدينةِ الزابج ، إذْ كانتْ تحاذي بلاد الصين ، وبينهما مسيرةُ شَهرٍ في البحر ، وأقلُّ من ذلك ، إذا ساعدَتِ الرياحُ . وملكُها يُعْرَفُ بالمهراجِ . ويقالُ إنَّ تكسيرَها تسعُ مايةِ فرسخٍ .

وهذا الملكُ مملَّكٌ على جزايرَ كثيرةٍ ، يكونُ مقدارُ مسافةِ مُلْكِهِ ألفَ فرسخٍ وأكثرَ . وفي مملكتِهِ جزيرةٌ تُعْرَفُ بسَرْبُزَهْ* ، تكسيرُها ، على ما يذكرونَ ، أربعُ مايةِ فرسخٍ . وجزيرةٌ أيضاً تُعْرَفُ بالرامني(٧٠) . تكسيرُها ثمانماية فرسخ ، فيها منابتُ البقَّم والكافور وغيره . وفي مملكتِهِ جزيرةٌ كلَه• ، وهي المنصِّفُ بينَ أراضي الصينِ وأرضِ العربِ ، وتكسيرُها ، على ما يذكرونَ ، ثمانون فرسخاً . وبكلّه مجمعُ الأمتعةِ من الأعوادِ والكافورِ والصندلِ والعاج والرصاصِ القلعيِّ والأبنوسِ والبقّم والأفاويةِ كلِّها وغيرِ ذلك ممّا يتّسعُ ويطولُ شرحُهُ . والجهازُ من عمان في هذا الوقتِ اليها ، ومنها الى عمان ، واقعٌ . وأمرُ المهراجِ• نافذٌ في هذه الجزايرِ .

---

(٧٠) الأصل : الرامي .

وجزيرتُهُ التي هو بها في غايةِ الخصبِ . وعمارتُها منتظمةٌ . وذَكَرَ مَنْ يُوثَقُ بقولِهِ أنَّ الديكةَ ، إذا غرَّدَتْ في الأسحارِ للأوقاتِ كتغريدِها عندَنا ، تجاوَبَتْ الى مايةِ فرسخٍ وما فوقَها ، يجاوبُ بعضُها بعضاً ، لاتِّصالِ القرى وانتظامِها ، وانَّهُ لا مفاوزَ فيها ولا خرابَ ، وانَّ المنتقِلَ في بلادِهِمْ ، إذا سافرَ وركبَ الظهرَ ، نزلَ حيثُ شاءَ .

ومن عجيبِ ما بَلَغَنا منْ أحاديثِ هذه الجزيرةِ المعروفةِ بالزابج ، أنَّ ملكاً من ملوكِهِمْ في قديمِ الأيامِ ، وهو المهراج ، وقصرُهُ على ثلاجٍ * يأخذُ منَ البحرِ . ومعنى الثلاجَ وادَ كدجلةِ مدينة السلامِ(٧١) والبصرةِ ، يغلِبُ عليهِ ماءُ البحرِ بالمدِّ ، وينضبُ عنهُ الماءُ العذبُ بالجزرِ . ومنه غديرٌ صغيرٌ يلاصقُ قصرَ الملكِ . فإذا كانَ في صبيحةِ(٧٢) كلِّ يومٍ ، دخلَ قهرمانُ الملكِ ، ومعَهُ لَبِنَةٌ قد سَبَكَهَا من ذهبٍ فيها أمنان(٧٣) ، قد خَفِيَ عنّي مبلغُها . فيطرحُها بينَ يدي الملك في ذلك الغديرِ . فإذا كانَ المدُّ ، علاها وما كانَ مجتمعاً معهَا من أمثالِهَا وغَمَرَها . فإذا كانَ الجزرُ ، نَضبَ عنها ، فأظهرَها ، فلاحَتْ في الشمسِ والملكُ مطّلعٌ عليها عندَ جلوسِهِ في المجلسِ المُطِلِّ عليها . فلا تزالُ تلك حالُهُ ،(٧٤) يطرحُ في كلِّ يومٍ في ذلك الغديرِ لَبِنَة من ذهبٍ ، ما عاشَ ذلك الملك منَ الزمانِ لا يُمَسُّ شيءٌ منهُ . فإذا ماتَ الملك ، أخرجَها القايمُ من بعدِهِ كلَّها ، فلمْ يَدَعْ منها شيًّاً ، وأُحْصِيَتْ ، ثم أُذيبَتْ ، وفُرِّقَتْ على أهل بيتِ المملكةِ ، رجالِهِمْ ونسايِهِمْ ، وأولادِهِمْ وقوادِهِمْ وخدمِهِمْ ، على قَدَرِ منازِلِهِمْ ، ورسومٍ لهُمْ في كلِّ صنفٍ منهُمْ . فما فضلَ بعدَ ذلك ، فُضَّ على أهل المسكنةِ والضعفِ ، ثم دُوِّنَ عددُ اللِبَنِ الذهبِ ووزنُهُ ، وقيلَ إنَّ فلاناً مَلَكَ

---

(٧١) الأصل : مدينة السلم .

(٧٢) الأصل : صبحة .

(٧٣) الأصل : آمنا .

(٧٤) الأصل : حالة .

من الزمان كذا وكذا سنةً ، وخلَّفَ من لِبَنِ الذهبِ في غديرِ الملوكِ كذا وكذا لَبِنَةً ، وإنَّها فُرِّقَتْ بعدَ وفاتِهِ في أهلِ مملكتِهِ . فالفخرُ عندَهُمْ لِمَنْ امتدَّتْ أيامُ ملكِهِ ، وزادَ عددُ اللِبَنِ الذهبِ في تركتِهِ .

[١٨ ـ قصة ملك القمار وملك الزابج]

ومن أخبارِهِمْ في القديمِ أنَّ ملكاً من ملوكِ القمار* ، وهي الأرضُ التي يجلبُ منها العودُ القماريُّ ، وليسَتْ بجزيرةٍ ، بل هي على ما يلي أرضَ العرب . وليسَ في شيٍّ منَ الممالكِ أكثرُ عدداً من أهلِ القمارِ . وهُمْ رحَّالة . كلُّهمْ يحرِّمونَ الزنا والأنبذةَ كلَّها ، فلا يكونُ في بلادِهِمْ ومملكتِهِمْ شيٌّ منه . وهيَ مسامتةٌ لمملكةِ المهراجِ والجزيرةِ المعروفةِ بالزابجِ ، وبينَهُما مسافةُ عشرةِ أيام الى عشرينَ يوماً عرضاً في البحرِ ، إذا كانَتِ الريحُ متوسطةً .

[آ ـ تفكير ملك القمار بقطع رأس ملك الزابج]

فقيل إنَّ هذا الملكَ يقلَّدُ الملكَ على القمار في قديمِ الأيامِ ، وهو حَدَثٌ متسرِّعٌ . وإنَّهُ جَلَسَ ، وهو مشرفٌ على وادٍ يجري بالماءِ العذبِ **كدجلة العراق** ، وبينَ قصرهِ والبحرِ مسيرةُ يومٍ ، ووزيرُهُ بينَ يديهِ ، إذ قال لوزيرهِ ، وقد جرى ذكرُ مملكةِ المهراجِ وجلالَتِها وكثرةِ عمارتِها ، وما تحتَ يدهِ منَ الجزايرِ : في نفسي شهوةٌ كنتُ أحبُّ بلوغَها . فقالَ لهُ الوزيرُ ، وكانَ ناصحاً ، وقد عَلِمَ منهُ السرعةَ : ما هيَ أيُّها الملكُ ؟ قالَ : كنتُ أحبُّ أن أرى رأسَ المهراجِ ، ملكِ الزابجِ في طَسْتٍ بين يديَّ . فَعَلِمَ الوزيرُ أنَّ الحسدَ أثارَ هذا الفكرَ في نفسِهِ ، فقالَ : أيُّها الملكُ ما كنتُ أحبُّ أن يُحَدِّثَ الملكُ نفسَهُ بمثلِ هذا ، إذْ لم يجرِ بينَنا وبينَ هؤلاء القومِ ، لا في فِعْلٍ ولا في حديثٍ ، تِرَةٌ .* ولا رأينا منهُمْ شرّاً . وهُمْ في جزيرةٍ نائيةٍ غيرِ مجاورةٍ لنا في أرضِنا ،

ولا طامعينَ في مُلْكِنا . وليسَ ينبغي أن يقفَ على هذا الكلامِ أحَدٌ ، ولا يعيد الملكُ فيهِ قولاً . فَغَضِبَ ، ولم يسمَعْ منَ الناصحِ ، وأذاعَ لقوَّادِهِ ومَنْ كانَ يحضرُهُ مِنْ وجوهِ أصحابِهِ .

[ب - رد فعل ملك الزابج وهجومه على مملكة القمار]

فتناقلتْهُ الألسنُ ، حتَّى شاعَ ، واتَّصلَ بالمهراجِ . وكانَ جزلاً ، متحرِّكاً ، محنَّكاً ، قد بلغَ في السنِّ مبلغاً متوسِّطاً . فدعا بوزيرِهِ ، وأخبرَهُ بما اتَّصلَ بهِ ، وقالَ لهُ : ليسَ يجبُ[٧٥] ، مع ما شاعَ من أمرِ هذا الجاهلِ ، وتمنِّيهِ ما تمنَّاهُ ، بحداثةِ سنِّهِ وغرَّتِهِ وانتشارِ ذلك من قولِهِ ، أن نمسكَ عَنْهُ . فإنَّ ذلكَ ممَّا يفتُّ في عَضُدِ المُلْكِ ، ويُنْقِصُهُ ، ويضعُ منهُ . وأمَرَهُ بسَتْرِ ما جرَى بينَهما ، وأنْ يُعِدَّ لَهُ ألفَ مركبٍ[٧٦] من أوساطِ المراكبِ ، بآلاتِها ، وينْدبَ لكلِّ مركبٍ منها من حَمَلَةِ السلاحِ[٧٧] وشجعانِ الرجالِ مَنْ يستقلُّ بهِ . وأظهرَ أنَّهُ يُريدُ التنزُّهَ في الجزايرِ التي في مملكتِهِ . وكتبَ الى الملوكِ الذين في هذه الجزايرِ ، وهُمْ في طاعتِهِ وحمايَتِهِ[٧٨] ، بما عَزَمَ عليهِ من زيارتِهِمْ والتنزُّهِ بجزايرِهِمْ ، حتى شاعَ ذلك . وتأهَّبَ ملكُ كلِّ جزيرةٍ لما يصلُح للمهراجِ . فلمَّا استتبَّ أمرُهُ وانتظمَ ، دخلَ في المراكبِ ، وعبَرَ بها وبالجيشِ الى مملكةِ القمارِ . وهو وأصحابُهُ أهلُ سواكٍ دايمٍ يفعلُ الرجلُ منهم ذلكَ في اليومِ مرَّاتٍ . وسواكُ كلِّ واحدٍ منهم معَهُ ، لا يفارقُهُ أو مع غلامِهِ . فلم يشعُرْ بهِ ملكُ القمارِ حتى هجَمَ على الوادي المُفْضي الى دارِ ملكِ القمارِ ، وطرَحَ رجالَهُ ، فأحدقُوا بهِ على سبيلِ غرَّةٍ فأخذَهُ ، واحتوى على دارِهِ ، وطارَ أهلُ المملكةِ من بين يديهِ . فأمرَ بالنداءِ بالأمانِ . وقعَدَ على السريرِ الذي كانَ يجلسُ عليهِ ملكُ القمار ، وقد أخذَهُ

---

(٧٥) الأصل : يجب .

(٧٦) الأصل : مراكب .

(٧٧) الأصل : جملة .

(٧٨) الأصل : وحملته .

أسيراً . فأحضَرَهُ وأحضرَ وزيرَهُ ، فقالَ لملكِ القمارِ : ما حَمَلَكَ على تمنّي ما ليسَ في وسعِكَ ، ولا لكَ فيهِ حظٌ لو نِلْتَهُ ، ولا لوجيهِ سببٍ يُسهِّلُ السبيلَ اليه . فلَمْ يُحِرْ جواباً ثم قالَ لهُ المهراجُ : أمَّا وإنَّكَ لو تمنّيتَ مع ما تمنّيتَهُ منَ النظرِ الى رأسي في طستٍ بينَ يديك ، إباحةَ أرضي ومُلْكِها أو الفسادَ في شيٍّ منها ، لاستعملتُ ذلك كلَّه فيكَ . لكنَّكَ تمنيتَ شيَّاً بعينِهِ ، فأنا فاعلُهُ بكَ ، وراجعٌ الى بلدي ، من غيرِ أن أمدَّ يداً الى شيٍّ من بلادِكَ ممَّا جلَّ ودقَّ ، لتكونَ عظةً لِمَنْ بعدكَ ، ولا يتجاوز كلٌّ قَدْرَهُ وما قُسِمَ لهُ ، وأنْ يستغنمَ العافيةَ من لبستِهِ . ثم ضربَ عنقَهُ ثم أقبلَ على وزيرِهِ فقالَ لهُ : جُزِيْتَ خيراً من وزير . فقد صحَّ عندي أنَّكَ أشرتَ على صاحبِكَ بالرأي ، لو قُبِلَ مِنْكَ . فانظُرْ مَنْ يَصلحُ للمُلْكِ من بعدِ هذا الجاهلِ ، فأقِمْهُ مقامَهُ . وانصرفَ من ساعتِهِ راجعاً الى بلادِهِ من غيرِ أنْ يمدَّ هو ولا أحدٌ من أصحابِهِ يدَهُ الى شيٍّ من بلادِ القمارِ . فلمَّا رجعَ الى مملكتهِ ، وحدَّثَهُمْ بخبرِهِ ، والسبب الذي حَمَلَهُ على ما أقدَمَ عليهِ . فدعا لهُ أهلُ مملكتِهِ ، وجزوهُ خيراً . ثم أمَرَ بالرأس ، فغُسِلَ وطُيِّبَ ، وجَعَلَهُ في ظرفٍ ، وردَّهُ الى الملكِ الذي قامَ بالأمرِ ببلادِ القمارِ من بعدِ الملكِ المقتولِ . وكتبَ اليهِ انَّ الذي حملني على ما فعلناهُ بصاحبِكَ بغيُهُ علينا وتأديبُنا لأمثالِهِ . وقد بلغَنا منهُ ما أرادَهُ بنا ، ورأينا ردَّ الرأسِ اليكَ ، إذْ لا دَرَكَ لنا في حَبْسِهِ ، ولا فخرَ بما ظفرنا بهِ منهُ . واتَّصلَ الخبرُ بملوكِ الهندِ والصينِ ، فعظمَ المهراجُ في أعينِهِمْ . وصارَتْ ملوكُ القمار من بعد ذلكَ ، كلَّما أصبحت ، قامَتْ وحوَّلَتْ وجوهَها نحوَ بلادِ الزابجِ ، فسجَدَتْ وكفَّرتْ للمهراجِ تعظيماً لهُ .

[جـ - ملوك الهند والصين والتناسُخ]

وساير ملوكِ الهندِ والصينِ يقولونَ بالتناسخِ ، ويدينونَ بهِ .

وذَكَرَ بعضُ مَنْ يُوثَقُ بخبرِهِ أنَّ مَلِكاً منْ ملوكِهِمْ جَدَّرَ . فلمَّا خرجَ مَنَ الجدريِّ ، نظرَ في المرآةِ ، فاستقبحَ وجهَهُ . فأبصرَ ابناً لأخيهِ ، فقالَ لهُ : ليس

مثلي أقامَ في هذا الجسمِ على تغيُّرِهِ ، وإنَّما هو ظرفٌ للروح ، متى زالَ عنهُ ، عادَ في غيرِهِ . فَقُمْ بالمُلْكِ ، فإنِّي مزيلٌ بينَ جسمي وروحي الى أنْ أنحدِرَ في جسمٍ غيرِهِ . ثمَّ دعا بخنجرٍ لهُ مشحوذٍ قاطعٍ ، فامرَ بهِ ، فحزَّ راسَهُ ، ثمَّ أُحْرِقَ .

رجع الى أخبار الصين
ذكر بعض أمورهم

[١٩ ـ عودة الى أخبار الصين وذكر بعض أمورهم]

كانَ أهلُ الصينِ من شدَّةِ التفقُّدِ لأمرِهِمْ في قديمِ أيامِهِمْ ، **وقبلَ تغيُّرِهِ في هذا الوقتِ** ، على حالةٍ لم يُسْمَعْ بمثلِها .

[آ ـ خلاف التاجر الخراساني وخصي ملك الصين]

وقد كان رجلٌ من أهلِ خراسان وَرَدَ العراقَ ، فابتاعَ متاعاً كثيراً ، وخرجَ الى بلادِ الصينِ . وكانَ فيهِ بخلٌ وشحٌّ شديدٌ . فجرى بينَهُ وبينَ خصيٍّ للملكِ ، كانَ أنفذَهُ الى خانفو ، وهي المدينة التي تقصُدها تجَّارِ العربِ ، لأخذِ ما يحتاجُ اليهِ ممَّا يردُ في المراكبِ ، وكانَ هذا الخصيُّ من أجلِّ خَدَمِ الملكِ ، واليهِ خزاينُهُ وأموالُهُ مشاجرة(٧٩) في أمتعةِ العاجِ وغيرِهِ . امتنعَ من بيعِها ، حتَّى شَرِقَ*الأمرُ بينَهُما ، وحَمَلَ الخصيُّ نفسَهُ على انتزاعِ خيارِ الأمتعةِ التي كانت معهُ ، واستهانَ بأمرِهِ فشخصَ مُستخفياً حتى وردَ خمدانَ ، وهو بلدُ الملكِ الكبيرِ ، في مقدارِ شهرين من الزمانِ وأكثر فخرجَ الى السلسلةِ التي وصفت في الكتاب ، وسبيلُ مَنْ حرَّكَها على الملكِ الكبيرِ أنْ يباعدَ الى مسيرةِ عشرةِ أيامٍ على سبيلِ النفي ، ويُؤمرُ بحبسِهِ هناك شهرين ، ثمَّ يُخرجُهُ ملكُ تلكَ الناحيةِ ، ويقولُ : إنَّكَ تعرَّضتَ الى ما فيهِ بوارِكُ وسفكُ دمِكَ إنْ كنتَ كاذباً . وإذْ كانَ الملكُ قد قرَّبَ لكَ ولأمثالِكَ من وزرايهِ وملوكهِ ، مَنْ لا يعوزُكَ الانتصافُ بهم .

---

(٧٩) فاعل فجرى .

واعلَمْ أنَّكَ متى وصلتَ الى الملكِ ، فلم يكنْ ما تظلمتَ منهُ ممَّا يجبُ في مثلهِ الوصولُ اليهِ ، فليسَ دونَ دَمِكَ شيٌّ ، ليلَّا يُقْدِمَ على ما أقدمتَ كلُّ مَنْ يهمُّ بمثلِهِ . فاستَقِلْ ، نُقِلَّكَ ، وامضِ لشأنِكَ . فإنْ استقالَ ضُرِبَ خمسينَ خشبةً ، ونُفِيَ الى البلادِ التي منها قَصَدَ . وإنْ أقامَ على ظُلامتِهِ ، والتمسَ الوصولَ ، فبُعِثَ بهِ ، ووصلَ الى الملكِ ، فسايلَهُ الترجمانُ عن أمرِهِ ، فأخبَرَهُ بما جرى عليهِ منَ الخادمِ وانتزاعِهِ من يدِهِ ما انتُزِعَ . وكانَ الأمرُ فيهِ قد شاعَ بخانفو وذاعَ . فأمرَ الملكُ بحبسِ الخراساني وإزاحةِ علَّتِهِ في مطعمِهِ ومَشربِهِ ، وتقدَّم الى وزيرِهِ في الكتابِ الى العمَّال بخانفو بالفحصِ عمَّا ادَّعاهُ الخراسانيُّ ، وكشفِهِ والصدقِ عنهُ . وأمرَ صاحبَ الميمنةِ* والميسرةِ* وصاحبَ القلبِ* بمثلِهِ . وهؤلاء الثلاثةُ عليهم يدورُ بعدَ الوزيرِ أمرُ جيوشِهِ ، ويثقُ بهِمْ على نفسِهِ . وإذا رَكِبَ بهمْ لحربٍ أو غيرِهِ ، كانَ كلُّ واحدٍ منهم في مرتبتِهِ . فكتبَ كلُّ واحدٍ منهم ، وقد كشفَ عن الأمرِ بما وقفَ بهِ على صحَّةِ الدعوى منَ الخراسانيِّ . فتتابعَتْ بهِ الأخبارُ عندَ الملكِ من كلِّ جهةٍ ، فأشخصَ الخصيَّ . فلمَّا وردَ ، قبضَ أموالَهُ ، ونزعَ جرايتَهُ من يدِهِ ، وقالَ لهُ : كانَ حقُّكَ القتلَ ، إذْ[٨٠] عرّضتني لرجلٍ قد سلَكَ من خراسان ، وهي على حدِّ مملكتي ، وصارَ الى بلادِ العرب ، ومنها الى ممالكِ الهندِ ، ثم الى بلدي طلباً للفضلِ . فأردتَ أن يعودَ مجتازاً لهذه الممالكِ ومَنْ فيها ، فيقولُ إنّي ظُلِمْتُ ببلادِ الصينِ ، وغُصِبْتُ مالي . لكنّي أتجافَى عن دَمِكَ ، لقديمِ خدمتِكِ[٨١] ، وأُوليك تدبيرَ الموتى ، إذْ عجزتَ عن تدبيرِ الأحياءِ . وأمرَ بهِ ، فجعلَهُ في مقابرِ الملوكِ ، يحرسُها ، ويقومُ بها .

---

(٨٠) الأصل : اذا .

(٨١) الأصل : حرفتك .

[ب ـ اجراءات تعيين قاضي القضاة]

ومن عجيبِ تدبيرهِمْ في قديمِ الأيامِ ، دونَ هذا الوقتِ ، أمرُ الأحكامِ وجلالُها في صدورهِمْ ، واختيارهُم لها من لا يخالجُ قلوبَهم الشك في علمِهِ بشرايعِهِمْ ، وصِدْقِ لهجتِهِ ، وقيامِهِ بالحقِّ في كلِّ أحوالِهِ ، وتجنبِهِ الإغماضَ عمَّن جلَّ مقدارُه حتى يقعَ الحق موقَعهُ ، ويكونَ عفيفاً عن أموالِ أهْلِ الضعفِ وما يجري على يدهِ .

فإذا عزموا على تقليد قاضي القضاة ، أنفذوهُ قبلَ تقليدهِ إلى جميعِ البلدان التي هي أعمدةُ بلادهِمْ ، حتى يقيم في كلِّ بلدٍ شهراً أو شهرين ، فيبحثُ عن أمرِ أهلِهِ وأخبارهِمْ ورسومِهِمْ ، ويَعْلمُ مَنْ يجبُ قبولَ قولِهِ منهُمْ ، معرفةً يستغني بها عن المسألةِ . فإذا سُلِكَ به هذه الأمصار ، ولم يبقَ في المملكِة بلدٌ جليلٌ إلاّ وطيهَ ، رَحَلَ إلى دارِ المملكةِ ، ووُلِّيَ قضاءَ القضاةِ ، وجُعِلَ إليه اختيارُهُمْ ، فيليهم . وعلمُهُ بجميع المملكةِ ومَنْ يجبُ أنْ يقلَّد في كلِّ بلدٍ من أهلِهِ أو غيرهِمْ ، علمُ مَنْ يستغني بعلمهِ عَنِ الرجوعِ إلىَ منْ لعلَّهُ أنْ يميلَ فيهِ أو يقولَ بغيرِ الحقِّ فيما سُئِلَ عنهُ . ولا يتهيَّأُ لأحدٍ من قُضاتِهِ أنْ يكاتَبهُ بشيٍّ قد عَلِمَ خلافَهُ أو يزيلُهُ عن جهتِهِ .

ولقاضي القضاةِ منادي في كلِّ يومٍ على بابِهِ ، يقولُ : هلْ مِنْ مُتظلِّمٍ على الملكِ المستورِ عن عيونِ رعيَّتِهِ ، أم من أحدٍ من أسبابِهِ وقوَّادِهِ ، وسايرِ رعَّيتِهِ ؟ فإنّي انوب في ذلك كلِّه عنهُ ، لما بسطَ بهِ يدي وقلَّدني . يقولُ ذلك ثلاثاً ، لأنَّ الملكَ في عَقدِهِمْ أنَّ الملكَ لا يزولُ عن موضعِهِ حتى تنفذَ الكتبُ من دواوينِ الملوكِ بالجورِ المصرَّحِ ، وأن يهملَ أمرَ الحكم والحكّامِ . وانَّهُ متى تحنَّثَ من هذين الأمرين ، فلم تنفُذِ الكتبُ من الدواوين إلاّ بالعدلِ ، ولم يَلِ الحكمَ إلاّ مَنْ يقومُ بالحقِّ . فالملكُ متنظمٌ .

[جـ - حدود الصين ومسك الظباء .]

فأمّا خراسانُ ومتاخمتُها لبلاد الصين ، فالذي بينَها وبينَ الصغدِ مسيرةُ شهرين . إلا أنَّه في مفازةٍ ممتنعةٍ ورمالٍ منتظمةٍ ، لا ماءَ فيها ، ولا أوديةَ لها ، ولا عمارةَ بقربها . فهو السببُ المانعُ من هجوم أهلِ خراسانَ على بلدهِمُ . أمّا ما كانَ من الصينِ على مغربِ الشمس ، وهو الموضعُ المعروفُ بِبَمْذُو ، فهو على حدودِ التبَّتِ . والحروبُ بينهم متصلةٌ .

وقد رأينا ممَّن دخلَ الصينَ ، ذكرَ أنَّهُ رأى رجلاً حَمَلَ على ظَهْرِهِ مِسْكاً في زقّ . ووردَ من سمرقندَ راجلاً ، يقطَع بلداً بلداً من مدنِ الصينِ حتى صارَ إلى خانفو ، وهو مجتمعُ التجارِ القاصدين من سيراف . وذلك أنَّ الأرض التي بها ظباءُ المسكِ الصينيِّ والتبَّتَ أرضٌ واحدةٌ ، لا فرقَ بينَهما . فأهلُ الصين يجتذبونَ ما قربَ منهم ، وأهلُ التبَّتِ ما قربُ منهم . وإنَّما فضلُ المسكِ التبَّتي على الصينيِّ بحالتين إحداهُما[٨٢] أنَّ ظبيَ المسكِ يكونُ في حدِّ التبتِ رعيُهُ من سُنْبُلِ الطيبِ ، وما يلي أرضَ الصينِ منها رعيُهُ سايرُ الحشايشِ . والحالةُ الأخرى تركُ أهلِ التبَّتِ النوافجَ* في حالِهَا ، وغش أهلِ الصينِ لما وقعَ إليهم منها ، وسلوكهم أيضاً في البحرِ وما يلحقُهم منَ الأنداء . فإذا تركَ أهلُ الصين المسكَ في نوافجهِ ، وأودِعَتِ البراني* ، واستُوثِقَ منها ، ووردَ أرضَ العرب كالتبّتي في جودتِهِ . وأجودُ المسكِ كلّه ، ما حكَّه الظبيُ على أحجارِ الجبالِ ، إذْ كانَ مادةً تصيرُ في سُرتِهِ . ويجتمعُ دماً عبيطاً كاجتماعِ الدمِ فيما يعرضُ منَ الدمامِلِ . فإذا أدركَ ، حكَّه ، وأفجَرهُ ، فيفرغُ إلى الحجارةِ حتّى يخرقَهَ ، فيسيلُ ما فيه ، فإذا خرجَ منهُ جفَّ واندملَ . وعادَتِ المادةُ تجتمعُ فيه مثلَ[٨٣] ذي قبل .

---

(٨٢) الأصل : احديهما .

(٨٣) الأصل : تجتمع فيه من .

وللتبَّتِ رجالٌ يخرجونَ في طلبِ هذا . ولهُمْ بهِ معرفةٌ . فإذا وجدوهُ ، التقطوهُ ، وجمعوهُ ، وأودعوهُ النوافجَ ، وحُمِلَ إلى ملوكِهِمْ . وهو نهايةُ المِسْكِ ، إذْ كانَ قد أدركَ في نوافجِهِ على حيوانِهِ ، وصارَ لهُ فضلٌ على غيرِهِ من المسكِ ، كفضلِ ما يُدْرَكُ منَ الثمارِ في شَجَرِهِ على سايرِ ما ينزعُ منهُ قبلَ إدراكِهِ .

وغيرُ هذا من المسكِ ، فإنَّما يُصادُ بالشركِ المنصوبِ أو السِّهَامِ . وربَّما قُطِعَتِ النوافجُ عن الظبيِ قبلَ إدراكِ المسكِ فيها ، وعلى أنَّه إذا قُطِعَ عن ظبايِهِ ، كانَ كريهَ الرايحة مدَّةً من المددِ ، حتى يجف[٨٤] على الأيامِ الطويلةِ . وكلَّما جفَّ ، استحالَ حتى يصيرَ مسكاً . وظبيُ المسكِ كسايرِ الظباءِ عندنا في القدِّ واللونِ ودقَّةِ القوايم وافتراقِ الأظلافِ وانتصابِ القرونِ وانعطافِهَا . وله نابانِ دقيقانِ أبيضانِ في الفكَّين ، قايمانِ في وَجْهِ الظبيِ ، طولُ كلِّ واحدٍ منهما مقدارُ فترٍ ودوَنهُ ، على هيئةِ نابِ الفيلِ . فهو الفرقُ بينها وبين ساير الظباء .

[د- بعض عادات الصين في المكاتبة والبول وترك الشعر والتزويج]

و مكاتباتُ ملوكِ الصينِ لملوكِ أمصارِهِمْ وخصيانِهِمْ على بغالِ البريدِ مجهَّزةَ الأذنابِ• على سبيلِ بغالِ البريدِ عندنا ، على سِكَكٍ معروفةٍ .

وأهلُ الصين مع ما وصفناهُ[٨٥] من أمرهِمْ ، يبولونَ من قيامٍ . وكذلك سايرُ رعيَّتِهِمْ من أهل بلادِهِمْ . فأمَّا الملوكُ والقوَّادُ والوجوهُ ، فلهُمْ أنابيبُ من خشبٍ مدهونةٍ ، طولُ كلِّ خشبةٍ منها ذراعٌ ، ويزعمونَ أنَّ ذلك أصحُّ لأجسامِهِمْ ، وأنَّ سايرَ ما يعتري من وَجعِ المثانةِ والبولِ من الاستحجارِ فيها ، إنَّما هو من الجلوسِ للبولِ ، وأنَّ المثانةَ لا تطفو بما فيها إلاَّ مع القيامِ بذلك .

---

(٨٤) الأصل : جف .

(٨٥) الأصل : معا وصفناه .

والسببُ في تركهِم الشعورَ على رؤوسهِمْ ، أعني الرجالَ ، امتناعُهم من تدويرِ رأس المولودِ وتقوِّيه ، كما يستعملُ العربُ . وقولُهم إنّ ذلك مّما يزيلُ الدماغَ عن حالِهِ التي خُلِقَ عليها ، وأنَّه يفسدُ الحاسَّةَ المعروفةَ . فرؤوسهُمْ مضطربةٌ يسترهُا الشعرُ ، ويعفى عليها .

فأمّا المناكحُ ببلادِ الصين ، وهمْ شعوبٌ وقبايلُ ، كشعوبِ بني اسرائيل ، والعربِ وبطونَها ، يتعارفون ذاكَ بينَهم ولاْ يزَوجُ أحدٌ منهم قريباً ولا ذا نَسَبٍ . ويتجاوزون ذلك حتى لا تتزوجَ القبيلةُ في قبيلتِهَا مثالُ ذلك أن بَني تميمٍ لا تتزّوجُ في تميمٍ ، وربيعةَ لا تتزَّوجُ في ربيعة ، وإنَّما تتزَّوجُ ربيعةُ في مُضر ، ومُضر في ربيعة ويدّعون أنَّ ذلك أنجبُ للولدِ .

بعض أخبار الهند

[٢٠ - بعض أخبار الهند]

[آ - حرق ملوك الهند وحاشيتهم وعصبية أهل الساحل وأهل الجبل]

في مملكةِ بلهرا وغيرِهِ من ملوكِ الهِند ، مَنْ يحرقُ نفَسه بالنارِ . وذلك لقولِهِمْ بالتناسخِ وتمكنِهِ في قلوبهم وزوالِ الشكِّ فيه عنهم .

وفي ملوكهِمْ مَنْ إذا قعدَ للمُلْكِ ، طُبِخَ لَهُ أرزٌ ، ثم وُضِعَ بين يديهِ على وَرقِ الموزِ . وينتدبُ منْ أصحابِهِ الثلثماية والأربعماية ، باختيارِهِمْ لأنفسِهِمْ ، لا بإكراهٍ منَ الملكِ لَهُمْ ، فيعطيهِمْ الملِكُ من ذلك الأرزّ بعد أنْ يأكلَ منهُ . ويتقرَّبُ رجلٌ رجلٌ منهُمْ ، فيأخذُ منهُ شيا يسيراً ، فيأكلُهُ . فيلزمُ كلَّ مَنْ أكلَ من هذا الأرزّ ، إذا ماتَ الملكُ أو قُتِلَ ، أنْ يحرقوا أنفسَهم بالنارِ عن آخرهم في اليومِ الذي ماتَ فيهِ ، لا يتأخرون عنهُ ، حتى لا يبقى منهم عينٌ ولا أثرٌ .

وإذا عَزَم الرجلُ على إحراقِ نفسِهِ ، سارَ إلى بابِ الملكِ ، فاستأذنَ ، ثم دارَ في الأسواقِ ، وقد أُجِّجَتْ لهُ النارُ في حَطَبِ جزلٍ كثير ، عليها رجالٌ يقومون بإيقادِهَا حتّى تصيرَ كالعقيقِ حرارةً والتهاباً . ثم يُعِدونَ[٨٦] بينَ يديهِ الصنوجَ دايراً في الأسواقِ ، وقد احتوشَهُ أهلُهُ وقرابتُهُ ، وبعضُهم يضعُ على رأسِهِ إكليلاً منَ الريحانِ ، يملأُهُ جمراً ، ويصبُّ عليه السندروسَ* ، وهو معَ النارِ كالنفطِ . يمشي وهامتُهُ تحترقُ ، وروايحُ لحم رأسِهِ تفوحُ ، وهو لا يتغيَّر في مشيتِهِ ، ولا يَظْهَرُ منهُ جَزَعٌ ، حتى يأتيَ النارَ ، فَيثِبُ فيها ، فيصيرُ رماداً . فذَكَرَ بعضُ من حَضَرَ رجلاً منهمُ يريدُ دخولَ النارِ ، أنَّه لمَّا أشرفَ عليها ، أخذَ

---

(٨٦) الأصل : الأصل : يعدوا .

الخنجرَ ، فوضعَهُ على رأسَ فؤادِهِ فشقَّه بيدهِ إلى عانتِهِ . ثم أدخلَ يدَهُ اليسرى ، فقبضَ على كَبدِهِ ، فجذَبَ منها ما تهيَّأ لهُ ، وهو يتكلَّمُ . ثم قطعَ بالخنجرِ منها قطعةً ، فدفَعها إلى أخيهِ استهانةً بالموتِ ، وصبراً على الألَمِ ، ثم زجَّ بنفسِه في النارِ إلى لعنةِ اللهِ .

وزعمَ هذا الرجلُ الحاكي أنَّ في جبالِ هذه الناحيةِ قوماً من الهند ، سبيلُهم سبيلُ الكنيفيةِ والجليديةِ عِندنَا في طلبِ الباطلِ والجَهْلِ . بَيْنَهم وبين أهلِ الساحلِ عصبَّيةٌ ، أنَّهُ لا يزالُ رجلٌ من أهلِ الساحلِ يدخلُ الجبلَ ، فيستدعي مَنْ يصابرُهُ على التميثلِ بنفسِهِ . وكذلك أهلُ الجبلِ لأهلِ الساحلِ . وأنَّ رجلاً من أهلِ الجبالِ سارَ إلى أهلِ الساحلِ لمثلِ ذلك . فاجتمعَ إليهِ الناسُ بينَ ناظرٍ ومتعصِّبٍ . فطالبَ أهلَ العصبيةِ بأنْ يصنعوا مثلَما يصنعُ . فإنْ عجزوا عنهُ ، اعترفوا بالغلبةِ ، وأنَّه جلسَ عندَ رأسِ منابتِ[٨٧] القنى ، وأمرهُمْ باجتذابِ قناةٍ من تلك القنى ، وسبيلهُ سبيلُ القصبِ في التفافِهِ ، وأصلهُ مثلُ الدنِّ وأغلظُ . وإذا حُطَّ رأسُ القناةِ ، استجابَتْ حتّى تقاربَ الأرضَ . فاذا تُركَتْ عادَتْ الى حالِهَا . فجذبَ رأسَ قناةٍ غليظةٍ حتّى قربَتْ منه . ثم شدَّ بها ضفايرُهُ شدّاً وثيقاً ، ثمّ أخذَ الخنجرَ ، وهو كالنارِ في سرعتِها . فقالَ لَهُمْ : إنّي قاطعٌ رأسي بهِ ، فإذا بانَ عن بدني ، فأطلقوهُ من ساعتِهِ ، فسأضحكُ إذا عادَتِ القناةُ برأسي إلى موضعِهِ وتسمعونَ[٨٨] قهقهةً يسيرةً . فعَجزَ أهلُ الساحِلِ عن أن يصنعوا مثلَ ذلك . وقد أخبرنا بهذا مَنْ لا نتَّهِمُهُ ، وهو اليومَ متعارفٌ ، إذْ كانت هذه البلادُ من الهندِ تقربُ من بلادِ العربِ ، وأخبارُها متصلةً بهم في كلِ وقتٍ .

ومن شأنِهِمْ ، إذا أخذتِ السنُّ من رجالِهم ونسايِهِمْ ، وضعفَتْ حواسُّهُمْ ، أنْ يُطَالِبَ مَنْ صارَ في هذه الحالِ منْهمْ أهلَهُ بطرحِهِ في النارِ أو تغريقِهِ في الماءِ ، ثقةً منهم بالرجعةِ . وسبيلُ موتاهم الإحراقُ .

---

(٨٧) الأصل : منايت .

(٨٨) الأصل : وتسمعوا .

[ب - جزيرة سرنديب : ابتزاز التجار فيها ، جواهرها ومقامرات أهلها وفسادهم]

وقد كانَ بجزيرةِ سرنديب ، وبها جبلُ الجوهرِ ومغاصُ اللؤلؤ وغيرُه ، يُقْدِمُ الرجلُ الهنديُّ على دخولِ السوقِ ، ومعَهُ الجربى* - وهو خنجرٌ لهم عجيبُ الصنعةِ ، مُرْهَفٌ . فيضربُ بيدِه الى أجلِّ تاجرٍ يقدرُ عليهِ ، ويأخذ بتلابيبِهِ ، ويُشْهِرُ الخنجرَ عليه ، ويُخْرِجُهُ من البلدِ في مَجمعٍ منَ الناسِ ، لا يتهيَّأُ لهم فيهِ حيلة . وذلك أنَّهُ متى أريدَ انتزاعُهُ منه ، قَتلَ التاجرَ وقَتلَ نفسَهُ . فإذا خرجَ من البلد ، طالَبَهُ بالفديةِ ، وتبعَ مَنْ يفتديهِ بالمالِ الكثيرِ . فدامَ ذلك بِهِمْ مدَّةً منَ الزمانِ حتى ملكَهُمْ ملكٌ ، أمرَ بمن فَعَلَ ذلك منَ الهندِ أن يُؤْخَذَ على أيةِ حالٍ كانَ . ففعلَ ذلك ، فقَتَلَ الهنديُّ التاجرَ وقَتَلَ نفسَهُ . فجرى هذا على جماعةٍ منهُمْ ، وتلفَتْ فيهِ أنفسُ الهندِ وأنفسُ العربِ . فلمَّا وقعَ البأسُ ، انقطعَ ذلك ، وأمَّنَ التجارُ على أنفسهم .

والجوهرُ الأحمرُ والأخضرُ والأصفرُ مخرجُهُ من جَبَلِ سرنديب . وهي جزيرةٌ . وأكثرُ ما يظهرُ لهم في وقتِ المُدودِ ، يدحرجُهُ الماءُ عليهم من كهوفٍ ومغاراتٍ ومسايلِ مياهٍ . لهُمْ عليها أرصادٌ للملكِ . وربَّما استنبطوهُ أيضاً كما تُستنبَطُ المعادنُ ، فيخرجُ الجوهرُ ملصقاً بالحجارةِ ، فَتُكسَرُ عَنْهُ .[٨٩]

ولملكِ هذه الجزيرةِ شريعةٌ ومشايخُ ، لَهُمْ مجالس كمجالسِ محدِّثينا ، يجتمعُ اليهم الهندُ ، فيكتبون عنهُمْ سِيَرَ أنبيائِهم وسننَ شرايعِهِمْ .

وبها صنمٌ عظيمٌ من ذهبٍ إبريزٍ ، يُفرِّطُ البحريون في مَبلغَ وَزْنِهِ ، وهياكلُ قد أُنفقَ عليها أموالٌ عظيمةٌ .

---

(٨٩) الأصل : فيكسر عنه .

وبهذه الجزيرةِ جمعٌ من اليهودِ كثيرٌ ، ومنْ سايرِ المِلَلِ . وبها أيضاً ثنويةٌ . والملكُ يبيحُ لكلِّ فريقٍ منهم ما يتشرَّع بهِ .

ومحاذي هذه الجزيرة أغبابٌ واسعةٌ . ومعنى الغبِّ الوادي العظيم ، إذا أُفرطَ في طولِهِ وعَرْضِهِ ، وكانَ مصبُّه الى البحر . يسيرُ المجتازون في هذا الغبِّ* ، المعروف بغبِّ سرنديب ، شهرين وأكثر ، في غياضٍ ورياضٍ وهواءٍ معتدلٍ . وفي فوَّهةِ هذا الغبِّ ، البحرُ المعروفُ بهركند . وهو نَزِهُ المكانِ ، الشاةُ فيه بنصفِ درهمٍ . وما يشربُ جمعٌ منَ الرجالِ منَ الشرابِ المطبوخِ من عَسَلِ النحلِ بحبِّ الداذي* الرطبِ بِمِثْلِ ذلكَ . وأكثرُ أعمالِهِم القمارُ بالديكةِ والنردِ . والديكةُ عندهُمْ عظيمةُ الأجسامِ ، وافرةُ الصياصي ، يستعملون لها منَ الخناجر الصغارِ المرهفةِ ما يُشَدُّ على صياصيها ، ثم تُرْسَلُ . وقمارُهُمْ في الذهبِ والفضَّةِ والأرضين والنباتِ وغيرِ ذلك . فيبلغُ الديكُ الغالبُ جملةً من الذهبِ . وكذلك لعبُهم بالنردِ دايمٌ على خَطَرٍ واسعٍ حتى إنَّ أهْلَ الضعفِ منهُمْ ، ومَنْ لا مالَ لَهُ ، ممَّنْ يذهبُ الى طَلَبِ الباطلِ والفتوَّةِ ، ربَّما لاعبَ في أناملِهِ ، فيلعبُ والى جنبِهِ شيءٌ قد جُعِلَ فيهِ منْ دهنِ الجوزِ أو دهنِ السمسمِ ، إذْ كانَ الزيتُ معدوماً عندَهمْ ، وتحتَهُ نارٌ تحميهِ ، وبينَهما فأسٌ صغيرةٌ مشحوذةٌ . فإذا غلبَ أحدُهما صاحبَه ، وضعَ يدَهُ على حَجَرٍ ، وضربَ القامرُ بالفأسِ انملةَ المقمورِ ، فأبانَها ، ووضعَ المقمورُ يدَهُ في الدهنِ ، وهو في نهايةِ الحرارةِ ، فيكويها . ولا يقطعُهُ ذاك عن المعاودةِ في اللعبِ . فربَّما افترَقا ، وقد بطلَتْ أناملُهما جميعاً . ومنهُمْ مَنْ يأخذُ الفتيلةَ ، فينقعُها في الدهنِ ، ثم يضعُها على عُضْوٍ من أعضايهِ ، ويشعلُ النارَ فيها . فهي تحترقُ ، ورايحةُ اللحمِ تفوحُ ، وهو يلعبُ بالنردِ ، لا يَظْهَرُ منهُ جَزَعٌ .

والفسادُ في هذا الموضعِ فاشٍ في النساءِ والرجالِ ، غيرُ محظورٍ ، حتى إنَّ تجارَ البحر ، ربَّما دعا الواحدُ منهم ابنةَ ملكهِمْ ، فتأتيه الى غياضِهِمْ

بعلمِ أبيها . وكانَ مشايخُ أهل سيراف يمنعون من الجهازِ الى هذه الناحيةِ وخاصَّة الأحداثَ .

[جـ - الارز والبراهمة والبيكرجيون]

وأمرُ اليسارةِ*التي تكونُ ببلادِ الهندِ ، وتفسيرُها المطرُ . فإنَّهُ يدومُ عليهم في الصيفِ ثلثةَ أشهرٍ تباعاً ليلاً ونهاراً ، لا يمسكُ الشتاءُ عنهُمْ بتَّةً . وقد استعدُّوا قبلَ ذلكَ لأقواتِهِمْ . فإذا كانَتِ اليسارةُ ، أقاموا في منازِلِهِمْ ، لأنَّها معمولةٌ من خَشَبٍ مكنَّسةُ* السقوفِ . مُظلَّلةٌ بحشايشَ لَهُمْ ، فلا يظهرُ أحدٌ منهم إلاَّ لمهمٍ . على أنَّ أهلَ الصناعاتِ يعالجونَ صنايعَهُمْ في هذه الأماكنِ هذه المدَّةَ . وربَّما عفنَتْ أسافلُ أرجلِهِمْ في هذا الوقتِ . وبهذه اليسارةِ عيشُهم . وإذا لم تَكُنْ ، هلكُوا لأنَّ زراعتَهم الأرزُّ لا يعرفونَ غيرهُ ، ولا قوتَ لهم سواهُ . إنَّما يكونُ في هذا الوقتِ في حزاماتٍ*(٩٠) لهمُ طريحاً ، لا يحتاجونَ الى سقيٍ ومعاناة . ومعنى الحزامات منابتُ الأرزِّ عندهُمْ . فإذا انكشفَتِ السماءُ عنهم ، بلغَ الأرزُّ النهايةَ في الريعِ والكثرةِ ، ولا يُمْطَرونَ الشتاءَ .

وللهندِ عبَّادٌ وأهلُ علمٍ يُعرَفونَ بالبراهمةِ* ، وشعراءُ يغشونَ الملوكَ ، ومنجِّمونَ وفلاسفةٌ وكهَّانٌ ، وأهلُ زجرٍ للعريانِ وغيرُها . وبها سحرةٌ وقومٌ يظهرونَ التخاييلَ ويُبدِعُونَ فيها ، وذلك بقنُّوج* خاصَّة ، وهو بلدٌ عظيمٌ في مملكةِ الحوز .

وبالهندِ قومٌ يُعرفونَ بالبيكرجيين* ، عراةٌ ، قد غطَّتْ شعورُهم أبدانَهم وفروجَهُمْ . وأظفارُهُمْ مستطيلةٌ كالحِرابِ ، إذْ كانت لا يُقَصُّ إلاَّ ما ينكسرُ منها . وهُمْ على سبيلِ سياحةٍ . وفي عُنُقِ رجلٍ منهم خيطٌ فيهِ جمجمةٌ من جماجمِ الأنسِ . فإذا اشتدَّ به الجوعُ ، وقفَ ببابِ بعضِ الهندِ ، فأسرعوا اليهِ

---

(٩٠) الأصل : حرامات .

بالأرزِّ المطبوخِ مستبشرين بهِ ، فيأكلُ في تلكَ الجمجمةِ . فإذا شبعَ انصرفَ ، فلا يعودُ لطلبِ الطعامِ إلاّ في وقتِ حاجتِهِ .

[د- شرايع الهند وصنم المولتان]

وللهند ضروبٌ من الشرايعِ ، يتقرّبونَ بها ، زعموا ، الى خالِقِهِمْ ، جلَّ الله وعزَّ عمَّا يقولُ الظالمونَ علواً كبيراً . منها أنَّ الرجلَ يبتني في طُرُقِهِمِ الخانَ للسابلةِ ، ويقيمُ فيهِ بقّالاً يبتاعُ المجتازونَ منهُ حاجتَهم . ويقيمُ في الخانِ فاجرة من نساءِ الهندِ يُجري عليها ، لينالَ منها المجتازون ، وذاك عندهُمْ ، ممَّا يُثابونَ عليه .

وبالهندِ قحابٌ يُعرفونَ بقحابِ البدِّ . والسببُ فيهِ أنَّ المرأة ، إذا نَذَرَتْ ندراً ، ووُلِدَ لها جاريةٌ جميلةٌ ، أتَتْ بها البدَّ ، وهو الصنمُ الذي يعبدونَهُ ، فجعلَتْها لهُ . ثم اتَّخَذَتْ لها في السوقِ بيتاً ، وعلَّقتْ عليهِ سِتْراً ، وأقعدَتْها على كرسيٍّ ، لتجتازَ بها أهلُ الهندِ وغيرُهم من سايرِ المِلَلِ ممَّن يتجاوزُ في دينِهِ . فتمكّن من نفسِهَا بأجرةٍ معلومةٍ . وكلَّما اجتمعَ لها شيءٌ من ذلك ، دفعَتْهُ الى سَدَنَةِ الصنمِ ، ليُصْرَفَ في عمارةِ الهيكلِ . والله جلَّ وعزَّ نحمدُهُ على ما اختارَ لنا ، وطهرَنا من ذنوبِ الكفرةِ بهِ .

فأمَّا الصنمُ المعروفُ بالمولتان* ، وهو قريب المنصورةِ* ، فإنَّهُ يقصدُ من مسيرةِ أشهرٍ كثيرةٍ ، ويحملُ الرجلُ منهُمُ العودَ الهنديَّ القامرونيَّ - وقامرونُ* بلدٌ يكونُ فيهِ فاخرُ العودِ ، حتى يأتيَ بهِ الى هذا الصَّنَمِ ، فيدفعُهُ الى السدنةِ لبخورِ الصنمِ . ومن هذا العودِ ما قيمةُ المن منه[91] مايتا دينار . وربَّما خُتِمَ عليه ، فانطبعَ الخاتمُ فيه للدونتِهِ . فالتجارُ يبتاعونَهُ من هؤلاءِ السدنةِ* .

---

(٩١) الأصل : المنا .

[هـ - غرس عباد الهند النارجيل وبناء العمانيين السفن منه] .

وبالهندِ عُبّادٌ ، في شرايعهم يقصدونَ الى الجزاير التي تحدثُ في البحرِ ، فيغرسونَ بها النارجيلَ، ويستنبطونَ بها المياهَ للأجروان يجتاز بها المراكبُ ، فتنالُ منها .

وبعمان مَنْ يقصدُ الى هذه الجزايرِ التي فيها النارجيلُ ، ومعهُمْ آلاتُ النجّارِ وغيرها ، فيقطعونَ من خشبِ النارجيلِ ما أرادوا . فإذا جفَّ ، قُطِّعَ ألواحاً . ويفتلونَ من ليفِ النارجيلِ ما يخرزونَ بهِ ذلك الخشبَ . ويستعملون منهُ مركباً . وينحتونَ منهُ أدقالاً . وينسجونَ من خُوصهِ* شراعاً ، ومن ليفهِ خراباتٍ ، وهي القُلوس* عندنا . فإذا فرغوا من جميعِهِ ، شُحِنَتُ المراكبُ بالنارجيلِ ، فَقُصِدَ بها عمانَ ، فبيعَ . وعظمَتْ بركتُهُ ومنفعتُهُ ، إذْ كانَ جميعُ ما يُتَّخذُ منهُ غيرُ محتاجٍ الى غيرهِ .

[٢١ - بلاد الزنج]

[آ - وصف بلاد الزنج عامة]

وبلادُ الزنجِ واسعةٌ . وكلُّ ما ينبتُ فيها منَ الذرةِ - وهو أقواتُهم - وقصبُ السكّرِ وسايرُ الشجرِ . فهو أسودُ عندَهم . ولهم ملوكٌ يغزو بعضُهم بعضاً . وعند ملوكِهِمْ رجالٌ ، يعرفون بالمخزّمين * ، قد خزمَتْ أنوفُهُمْ ، ووُضِعَ فيها حلقٌ ، ورُكِّبَ في الحلقِ سلاسلُ . فإذا كانَتِ الحرب تقدموا ، وقد أخذ بطرف كلِّ سلسلةٍ رجلٌ ، يجذبُها ويصدُّ[٩٢] عن التقدُّمِ حتى تُسفرَ السفراءُ بينَهم . فإنْ وقعَ الصلحُ ، وإلّا شُدَّتْ تلكَ السلاسلُ في أعناقِهِمْ ، وتركوا والحرب . فلم تَقُمْ لهم قائمةٌ ، ولم يَزَلْ أحدُهُمْ عن مركزِهِ دونَ أنْ يُقْتَلَ . وللعرب في قلوبِهِمْ

---

(٩٢) الأصل : ويصده .

هيبةً عظيمةً ، فإذا عاينوا رجلاً منهُمْ سجدوا لهُ ، وقالوا : هذا من مملكةٍ ينبتُ بها شجرُ التمرِ ، لجلالةِ التمرِ عندَهُمْ وفي قلوبِهِمْ .

ولهم الخطبُ . وليس في الأمم كخطبايهم بألسنتهم . وفيهم من يتعبَّدُ ، فيستترُ بجلدِ نمرٍ أو جلدِ قردٍ ، ويأخُذُ بيدهِ عصا ، ويُقبلُ نحوَهم . فيجتمعُ اليه منهم جَمْعٌ . فيقفُ على رجلِهِ يوماً الى الليلِ يخطبُ عليهم ، ويذكِّرهُمْ بالله جلَّ ذكرُه ، ويصفُ لهم أمورَ مَنْ هلكَ منهم .

ومن عندِهِمْ تُحْمَلُ النمورُ الزنجيَّةُ ، وفيها حُمْرَةٌ وهجانةٌ ، ولها كبرٌ وسعةٌ .

[ب - وصف جزيرة سقطرة]

وفي البحر جزيرةٌ تعرفُ بسقوطرا .* وبها منابتُ الصبرِ الأسقوطريِّ . وموقعُها قريبٌ من بلادِ الزنجِ وبلادِ العربِ . وأكثرُ أهلها نصارى . والسببُ في ذلك أنَّ اسكندرَ ، لمَّا غَلَبَ على ملكِ فارس ، كان يكاتبُهُ معلِّمهُ ارسطوطاليس ، فيعرِّفُهُ ما وقَعَ عليه من الأرضين . فكتبَ اليه يؤكِّد عليهِ في طلب جزيرةٍ في البحرِ تُعْرَفُ بسقوطرا ، وأنَّ بها منابتَ الصبرِ ، وهو الدواءُ الأعظمُ الذي لا تتمُّ الإيارجات* إلاّ بهِ ، وأنَّ الصوابَ أنْ يُخرجَ مَنْ كانَ في هذه الجزيرة ، ويقيمَ فيها مِنَ اليونانيين من يحوطُها ، ليحملَ منها الصبرُ الى الشامِ والرومِ ومصر . فبعثَ اسكندر ، فأخرجَ أهلَها عنها ، وأنزلَ جمعاً مِنَ اليونانيين فيها . وتقدَّمَ الى ملوكِ الطوايف ، إذْ كانوا عندَ قتلِهِ دارا الكبيرَ طوعَ يدِهِ بالاحتفاظِ بهمْ . فكانوا في صيانةٍ حتَّى بعثَ الله عيسى عليه السلام ، فبلغَ من بهذه الجزايرِ منَ اليونانيةِ أمرَهُ ، فدخلوا في جُملَةِ ما دخَلتْ فيهِ الرومُ من التنصُّر ، وبقاياهُمْ بها الى هذا الوقتِ مع سايرِ مَنْ سَكَنَها من غيرِهِمْ .

[جـ- ساحل جزيرة العرب في الجنوب وفي بحر القلزم]

ولم يَذْكُرْ في هذا الكتابِ ، يعني الكتابَ الأولَ ، ما تيامنَ* منَ البحرِ عندَ خروجِ المراكبِ من عمان وأرضِ العربِ ، وتوسُّطِهُمْ للبحرِ الكبير . وإنَّما شرحَ فيهِ ما تياسَرَ منها ، إذْ كانَ فيهِ بحرُ الهندِ والصينِ . وفيهِ كانَ مقصدُ مَنْ كتبَ ذلك الكتابَ عنهُ .

ففي هذا البحرِ الذي عَنْ يمينِ الهندِ ، للخارجِ[٩٣] منْ عمان ، بلادُ الشحرِ ، وهي منابتُ اللبانِ* ، وأرضٌ من أراضي عاد وحمير وجرهم والتبابعة . ولهم ألسنةٌ بالعربيَّةِ عاديةٌ قديمةٌ ، لا يعرفُ أكثرَها العربُ . وليسَتْ لهم قرى . وهُمْ في قشفٍ وضيقِ عيشٍ الى أنْ تنتهي أرضُهم الى أرضِ عدن وساحلِ اليمن ، والى جُدَّة ، ومن جُدَّة الى الجار الى ساحلِ الشام . ثم تُفضي الى القُلزم ، وينقطعُ البحرُ هناك ، وهو حيثُ يقولُ الله جلَّ ذكرُهُ : وجَعَلَ بينَ البحرينِ حاجزاً . ثم ينعرجُ البحرُ منَ القلزمِ على أرضِ البربرِ . ثم يتَّصلُ بالجانبِ الغربيِّ الذي يقابلُ أرضَ اليمنِ حتى يمرَ بأرضِ الحبشةِ التي تَجْلبُ جلودُ النمورِ البربريَّة منها ، وهي أحسنُ الجلودِ وأنقاها . والزيلعُ ، وفيها العنبرُ والذبلُ ، وهو ظهورِ السلاحفِ .

[د- سفر مراكب سيراف الى جدة ومقارنة بحر القلزم ببحر الهند والصين]

ومراكبُ أهلِ سيراف ، إذا وصَلَتْ في هذا البحرِ المتيامنِ عن بحرِ الهندِ ، فصارَتْ الى جُدَّة ، أقامَتْ بها ، ونُقِلَ ما فيها منَ الأمتعةِ التي تُحْمَلُ الى مصر في مراكبِ القلزم ، إذْ كانَ لا يتهيَّأ لمراكبِ السيرافيين سلوكُ ذلك البحرِ ، لصعوبتِهِ وكثرةِ جبالِهِ النابتةِ فيه . وإنَّهُ لا ملوكَ في شيءٍ من سواحلِهِ ، ولا عمارةَ . وإنَّ المركبَ ، إذا سلكَهُ ، احتاجَ في كلِّ ليلةٍ الى أنْ يطلبَ

---

(٩٣) الأصل : الحارج .

موضعاً يستكنُّ فيهِ خوفاً من جبالِهِ . فيسيرُ النهارَ ، ويقيمُ الليلَ . وهو بحرٌ مظلمٌ ، كريهُ الروايحِ ، لا خيرَ في بَطْنِهِ ولا ظَهْرِهِ . وليسَ كبحرِ الهندِ والصينِ الذي بطنُهُ اللؤلؤُ والعنبرُ وفي جبالِهِ الجوهرُ ومعادن الذهبِ ، وفي أفواهِ دوابِّهِ العاجُ ، وفي منابتِهِ الأبنوسُ والبقَّمُ والخيزرانُ وشجرُ العودِ والكافورُ والجوزبوا* والقرنفلُ والصندلُ وسايرُ الأفواهِ الطيبةِ الذكيةِ . وطيورُهُ الففاغي ، يعني الببغاوات والطواويسُ . وخرشاتُ أرضِهِ الزبادُ وظباءُ المسكِ ، وما لا يُحصيهِ أحدٌ لكثرةِ خيرهِ .

[هـ - العنبر]

فأمَّا العنبرُ وما يقعُ منهُ الى سواحلِ هذا البحرِ ، فهو شيءٌ تقذفُهُ الأمواجُ اليهِ ومبدوءُه من بحرِ الهندِ . على أنَّهُ لا يُعْرَفُ مخرجُهُ ، غيرَ أنَّ أجوَدَهُ ما وَقَعَ الى بربر أو حدود بلاد الزنج والشحرِ وما والاها . وهو البيضُ المدوَّرُ الأزرقُ . ولأهلِ هذه النواحي نجبٌ يركبونَها في ليالي القمر ، ويسيرونَ بها على سواحِلِهِمْ . قد رِيْضَتْ ، وعَرَفَتْ طلبَ العنبرِ على الساحلِ . فإذا رآهُ النجيبُ بركَ بصاحبِهِ ، فأخذَهُ . ومنهُ ما يوجدُ فوقَ البحرِ ويزنُ وزناً كثيراً . وربَّما كانَ كفيئةِ الثورِ ودونَها[٩٤] . فإذا رآهُ الحوتُ المعروفُ بالبال[٩٥] ابتلعَهُ . فإذا حصلَ في جوفهِ ، قَتَلَهُ وطَفَا الحوتُ فوقَ الماءِ . ولهُ قومٌ يراعونَهُ في قواربَ ، قد عرفوا الأوقاتَ التي يوجدُ فيها هذه الحيتان المبتلعةُ العنبر . فإذا عاينوا منها شيئاً ، اجتذبوهُ الى الأرضِ بكلاليبَ حديد ، فيها حبالٌ متينةٌ ، تنشبُ في ظَهْرِ الحوتِ . فيشقونه ويخرجونَ[٩٦] العنبرَ منهُ . فما كانَ يلي بطنَ الحوتِ ، فهو المندُ* الذي فيه سهوكةٌ* ، وسمكتُهُ موجودةٌ عندَ العطَّارين* بمدينةِ السلامِ والبصرة . وما لم تصل اليهِ سهوكةُ الحوتِ ، كان نقياً جداً .

---

(٩٤) الأصل : ودونه .

(٩٥) الأصل : بالتال .

(٩٦) الأصل : فيشقوا عنه ويخرجوا .

وهذا الحوتُ المعروفُ بالبال[٩٥] ، ربَّما عملَ من فقارِ ظَهْرِهِ كراسي يقعدُ عليها الرجلُ ويتمكَّنُ . وذكروا أنَّ بقريةٍ من سيراف ، على عشرةِ فراسخ ، تعرف بالتاين ، بيوتاً عاديةً ، لطافاً ، سقوفُها من أضلاع هذا الحوتِ . وسمعتُ مَنْ يقولُ إنَّهُ وقعَ في قديم الأيامِ الى قربِ سيراف منهُ واحدةٌ . فقَصَدَ للنظرِ اليها ، فوجدَ قوماً يصعدونَ الى ظَهْرِهَا بسلَّمٍ لطيفٍ . والصيادون ، إذا ظفروا بها ، طرحوها في الشمسِ ، وقطعوا لحمَها ، وحفروا لها حفراً ، يجتمعُ فيها الودكُ ، ويغرفُ من عينِها إذا أذابَتِ[٩٧] الشمسُ الودكَ بالحرارةِ . ويجمعُ فيباعُ على أربابِ المراكبِ ، ويخلطُ بأخلاطٍ لهُمْ ، يُمْسَحُ بها مراكبُ البحرِ ، يسدُّ بهِ خَرَزُهَا ، ويسدُّ أيضاً ما ينفتقُ من خَرَزِها . فيباعُ ودكُ هذا الحوتِ بجملةٍ منَ المالِ .

ذكر اللؤلؤ

[و - اللؤلؤ]

بدوُ خَلْقِ اللؤلؤِ بلطيفِ تدبيرِ الله ، تباركَ اسمُه . وهو عزَّ وجلَّ يقولُ سبحانَ الذي خَلَقَ الأزواجَ كلَّها ممَّا تنبتُ الأرضَ ومنْ أنفسهم وممَّا لا يعلمون . فاللؤلؤ يبتدىء في مثلِ قَدَرِ الأمجدانة* وعلى لونِها وفي هيئَتِها وخفَّتِها ورقَّتِها وضعفِها . فيطيرُ على وجهِ الماءِ طيراناً ضعيفاً ، ويسقطُ على جوانبِ مراكبِ الغاصةِ . ثم يشتدُّ على الأيامِ ، ويعظُمُ ، ويستحجرُ . فإذا ثقُلَ ، لزَمَ قعرَ البحرِ . ويغذو بما الله اسلم به ، وليسَ فيهِ إلاّ لحمةٌ حمراءُ كمثلِ اللسانِ في أصلهِ ، ليسَ لها عظمٌ ولا عصبٌ ولا فيها عرقٌ . وقد اختلفوا في بدءِ اللؤلؤة فقالَ قومٌ الصدفَ ، إذا وقعَ المطرُ ، ظهرَ على وَجهِ البحرِ ، وفتَحَ فاه ، حتى يقطرَ فيهِ من المطرِ ، فيصيرُ حبّاً . وقال آخرون إنَّهُ يتولَّدُ منَ

(٩٧) الأصل : أذابتها .

الصدفَةِ نفْسِها ، وهو أصحُّ الخبرين ، لأنَّهُ ربَّما وُجِدَ في الصدفة ، وهو نابتٌ لم ينقلعْ ، فيقلعُ ، وهو الذي تسمِّيه تجارُ البحر اللؤلؤ القلع ، والله أعلم .

ومنْ عجايبِ ما سَمِعْنَا من أبوابِ الرزقِ أنَّ أعرابيًّا وردَ البصرةَ في قديمِ الأيَّامِ ، ومعَهُ حبَّةُ لؤلؤٍ تساوي جملةَ مالٍ . فصارَ بها الى عطَّارٍ ، كانَ يألفُهُ ، فأظهرَها لَهُ ، وسايلَهُ عنها ، وهو لا يعرفُ مقدارَها . فأخبرَهُ أنَّها لؤلؤةٌ . قالَ : وما قيمتُها ؟ قال : مايةُ درهمٍ . فاستكثرَ الأعرابي ذاك ، وقالَ : هلْ أحدٌ يبتاعُها منِّي بما قلتَ ؟ فدفعَ لَهُ العطَّارُ مايةَ درهمٍ ، فابتاعَ بها ميرةً لأهلِهِ ، وأخذَ العطَّارُ الحبَّة ، فقصَدَ بها مدينةَ السلامِ فباعَها بجملةٍ منَ المالِ ، واتَّسعَ العطَّارُ في تجارتِهِ . فذكرَ العطَّارُ أنَّه سألَ الأعرابيَّ عن سببِ اللؤلؤةِ ، فقالَ مررتُ بالصمَّانِ ، وهي من أرضِ البحرين ، بينَها وبينَ الساحلِ مديدةٌ قريبةٌ ، فرأيتُ في الرملِ ثعلباً ميتاً على فيهِ شيءٌ ، قد أطبقَ عليهِ ، فنزلتُ فوجدتُ شيئاً كمثلِ الطبقِ ، يلمعُ جوفُهُ بياضاً . ووجدتُ هذه المدحرجةَ فيهِ فأخذتُها . فعَلِمَ أنَّ السبَبَ في ذلكَ خروجُ الصدفةِ الى الساحلِ تستنشقُ الريحَ ، وذلك من عادةِ الصدفِ . فمرَّ بها الثعلبُ . فلمَّا عاينَ اللحمةَ في جوفِهَا ، وهي فاتحةٌ فاها وثَبَ بسرعتِهِ ، فأدخلَ فاهُ في الصدفِ ، وقبضَ على اللحمةِ . فأطبقَتِ الصدفةُ على فيهِ . ومن شأنِها ، إذا أطبقَتْ على شيءٍ وأحسَّتْ بيدٍ تلمسُها ، لم تفتَح فاها بحيلةٍ حتى تُشَقَّ من آخِرها بالحديدِ ، ضناً منها باللؤلؤةِ ، وصيانةً لها كصيانةِ المرأة لولدِها . فلمَّا أخذَتْ بنفسِ الثعلبِ ، أمعَنَ في العدو ، يضربُ بها الأرضَ يميناً وشمالاً ، الى أنْ أخذَتْ بنفسِهِ ، فماتَ وماتَتْ . وظَفِرَ رزقاً .

[ز ـ عادات ملوك الهند في الزينة والطعام]

وملوكُ الهندِ تلبسُ الأقراطَ من الجوهرِ النفيسِ في آذانِها ، المركَّبِ في الذهبِ . وتضعُ في أعناقِها القلايدَ النفيسةَ المشتملةَ على فاخرِ الجوهرِ الأحمرِ والأخضرِ واللؤلؤِ ما يعظمُ قيمتُهُ ولِجُلِّ مقدارِهِ . وهو اليومَ كنوزُهُمْ وذخايرُهُمْ ،

وتلبسُهُ قوّادهُمْ ووجوهُهُمْ ، والرئيسُ منهُمْ يركبُ على عُنُقِ رَجُلٍ منهُمْ ، وعليهِ فوطةٌ قد استترَ بها ، وفي يدِهِ شيءٌ يُعْرَفُ بالجترةِ * ، وهي مِظَلَّةٌ من ريشِ الطواويسِ يأخُذها بيدِهِ ، فيتّقي بها الشمسَ ، وأصحابُهُ مُحدقونَ بهِ .

ومنهُمْ صنفٌ لا يأكلَ اثنانِ مِنْهُمْ في غضارةٍ* واحدةٍ ، ولا على مايدةٍ واحدةٍ ، يجدونَ ذلك عيباً فاحشاً . فإذا وردُوا سيرافَ ، فدعاهُمْ وَجْهٌ من وجُوهِ التجّارِ ، وكانوا مايةَ نَفْسٍ أو دونَها أو فوقَها ، احتاجَ أنْ يَضَعَ بينَ يدي كلِّ رجلٍ منهُمْ طبقاً فيهِ ما يأكُلُهُ لا يشارِكُهُ فيهِ سواهُ .

وأمّا ملوكُهُمْ في بلادِهِمْ ووجوهُهُمْ ، فإنَّهُ يُتَّخَذُ لَهُمْ في كلِّ يومٍ موايدُ يسفُّ خوصَ* النارجيلِ سفاً ، ويعملُ منهُ كهيَّةِ الغضارِ والصحافِ . فإذا أُحْضِرَ الغذاء ، أكلوا الطعامَ في ذلك الخوصِ المسفوفِ . فإذا فرغوا من غذايِهِمْ رُمِيَ بتلكَ المايدةِ والغضارِ والمسفوفِ من الخوصِ مع ما بَقِيَ منَ الطعامِ الى الماءِ . واستأنفوا من غَدِهِمْ مثلَهُ .

وكانَ يُحْمَلُ الى الهندِ في القديمِ الدنانيرُ السنديَّةُ ، فيباعُ الدينارُ بثلثةِ دنانيرَ وما زادَ . ويُحْمَلُ اليهم الزمرّدُ الذي يردُ من مصر ، مركَّباً في الخواتيمِ ، مصوناً في الحقاقِ ، ويُحْمَلُ البسذُ ، وهو المرجانُ ، وحجرٌ[٩٨] يقالُ لهُ الدهنجِ* ، ثم تركوهُ . وأكثرُ ملوكِهِمْ يُظْهِرونَ نساءَهُمْ ، إذا جلسُوا لِمَنْ دَخَلَ اليهم من أهلِ بلدِهِمْ وغيرِهِمْ . لا يُحجبنَ عن النظرِ اليهنَّ .

---

(٩٨) الأصل : حجو .

فهذا أجملُ ما لَحِقَهُ الذكرُ في ذلك الوقتِ ، على سِمَةِ أخبارُ البحرِ مع التجنُّبِ[٩٩] لحكايةِ شيءٍ ممَّا يكذبُ فيهِ[١٠٠] البحريُّونَ ، ولا يقومُ في نَفْسِ المرءِ صدْقُهُ ، والاقتصارُ من كلِّ خبرٍ على ما صحَّ منه ، وإنْ قلَّ أولى .

والله الموفِّقُ للصوابِ . والحمدُ لله ربِّ العالمين وصلواتُهُ على خيرتِهِ من خَلْقِهِ ، محمَّدٍ وآلِهِ أجميعنَ . وهو حسبُنا ونعمَ الناصرُ والمعين .

قُوبِلَ بالمتنسَّخِ منهُ في صفر سنة ٥٩٦ والله الموفِّقُ .

---

(٩٩) الأصل التجيب .

(١٠٠) الأصل مما يكذن فيه .

شروح وتعليقات

أبواب الصين : ممرات بين جزر تقع مقابل ساحل الصين . وردت هذه التسمية في الفقرة التالية :«ثم تخطف المراكب الى بحر يقال له صنخي ، ثم الى ابواب الصين . وهي جبال في البحر ، بين كل جبلين فرجة ، تمر فيها المراكب . فإذا سلم الله من صنف فولاو ، خطفت المراكب الى الصين في شهر ، إلا أن الجبال التي تمر بها المراكب مسيرة سبعة ايام . فإذا جاوزت السفينة الأبواب ، ودخلت الخور صارت الى ماء عذب الى الموضع الذي ترسي اليه من بلاد الصين ، وهو يسمى خانفو» . .

وقد نقل ابن الفقيه هذه الفقرة حرفيا تقريبا ، فقال : «ثم تخطف (السفينة) الى موضع يقال له الصنف ، ثم الى موضع يقال له صندرفولات ، وهي جزيرة في البحر ، والمسيرة اليها عشرة ايام ، ثم الى موضع يقال له صنج ، الى ابواب الصين . وهي جبال في البحر بين كل جبلين فرجة تمر فيها السفن ، ثم الى الصين . ومن صندرفولات الى الصين مسافة شهر ، إلا أن الجبال التي تمر بها السفن مسيرة سبعة ايام . . . فإذا جاوزت الأبواب ، صرت الى ماء عذب يقال له خانفو»[1] .

---

(١) مختصر كتاب البلدان ، ص ١٢ ـ ١٣ .

وكررها الشريف الإدريسي في قوله : «ومن جزيرة صنف الى جزيرة صندى فولات عشرة ايام . . . وجزيرة صندى فولات ، تحيط بها من جهة الصين جبال وعرة والرياح بها عاصفة . وهي باب من أبواب الصين . ومنها يركب الى مدينة خانفو اربعة أيام . وأبواب الصين اثنا عشر بابا ، وهي جبال في البحر ، بين كل جبلين فرجة ، يسار منها الى موضع بعينه من مدائن الصين المقصودة بالساحل . وجميع مرافىء الصين لايكون منها شيء الا على خور تصعد فيه المراكب الشهر والأكثر والأقل . . . »[1] . والجبال في هذه النصوص بمعنى الجزر .

احتال : طلب الشيء بحذق وقدرة .

اختلف الى : جاء الى المكان المرة تلو الأخرى .

اذخر : حفظ الشيء لحين الحاجة له .

ارباب المراكب : الربابنة أو المعالمة .

استعذب : استقى الماء عذبا . اخذ حاجته منه .

الاسكندر : المقصود اسكندر ذو القرنين ، المولود في مقدونية ، والمتوفى في بابل سنة ٣٢٣ ق م . انتصر على دارا الكبير سنة ٣٣١ ق م . قرب اربيل . ودارا هو داريوس الثالث كودومان ، ملك الفرس الذي قتله قواده .

اندمان : جاء في نص اخبار الصين والهند انهما جزيرتان ، اهلهما من أكلة لحوم البشر . وهذه الفكرة واردة عند كثير من الجغرافيين في القرون الوسطى . ومنها اشتقت تسمية اندمان الكبرى واندمان الصغرى ، في حين ان مايسمى باندمان الكبرى هو في الواقع ثلاث جزر متقاربة جدا حتى يكاد بعضها يلتصق ببعض .

الايارجات : جمع ايارجة اي الدواء .

---

(١) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، الجزء العاشر من الإقليم الأول ، صفحة ٨٩ ـ ٩٠ ، طبعة نابولي ـ رومة ، ١٩٧٠ .

بار : برّ

البددة : جمع بد ، اي بيت فيه أصنام وتصاوير . ايضا الصنم نفسه .

البراني : جمع برنية ، وهي إناء من خزف .

البراهمة : كهنة الهندوس ، وسدنة بيوت أصنامهم الوافرة الموارد . وتضم معابدهم وأديرتهم كثيرا من التماثيل المصنوعة من الخشب أو النحاس أو المنحوتة من حجر . ولهم اعياد واحتفالات تضاء فيها الشموع وقناديل الزيت ، وتقرع فيها الأجراس . وهم يتمنطقون بالحبل المقدس المجدول ثلاثة أطواق ، ويتزوجون امرأة واحدة في حياتهم .

البسذ : بالذال . نوع من الجواهر ، يقول المقريزي إنه أصل المرجان ، ومنه الأبيض والأحمر والأسود . **البشان** : وحيد القرن .

البغبور : أو المغبور . كلمة فارسية تعني ابن السماء ، على ما ذكر في اخبار الصين والهند ، وهي ترجمة حرفية للقب امبراطور الصين .

البغلي : نوع من الدراهم .

بلاد الفلفل : هي المُلَيبار أو المليْبَار . يقول ياقوت الحموي : «ومليبار اقليم كبير عظيم، يشتمل على مدن كثيرة، منها فاكنور ومنجرور ودهلي. يجلب منها الفلفل الى جميع الدنيا»[١].

ويقول ابو الفداء : «والمليبار هي بلاد الفلفل . . والكولم آخر المليبار وآخر بلاد الفلفل»[٢] .

ويقول ابن بطوطة : «وبعد ثلاثة ايام ، وصلنا الى بلاد المليبار ، بضم الميم وفتح اللام وسكون الياء آخر الحروف وفتح الباء الموحدة وألف وراء ، وهي بلاد الفلفل»[٣] .

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٦٤٩ .

(٢) تقويم البلدان ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .

(٣) رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ، ج ٤ ، ص ٧١ ومايليها .

بلهرا : لقب هندي مأخوذ من Vallabha Raja ومعناه الملك المحبوب . وللادريسي رأي آخر اذ يقول : «وتفسير بلهرا ملك الملوك . اذا صار المُلْك لملك منهم ، تَسمَّى باسم الملك الذي كان قبله»[1] . ويقول في مكان آخر ان شرط تلقيب الملك بملك الملوك أن يكون لديه مائة امرأة والف فيل .

بمذو : مدينة على حدود التبت لجأ اليها امبراطور الصين في أثناء ثورة يانشو عليه . وبقي فيها حتى استعاد عرشه بمساعدة ابن ملك التغزغز التركي .

البيكرجيون : قوم في الهند يعيشون عراة .

تايو : يظن أنها قرية القصار المقصود Hiou de- Tai-How (سوفاجية).

ترة : توتر في العلاقات .

التغزغز : تحريف طوقز اوغز ، أي قبائل الغز التسع . ويسميهم الصينيون اويغور القبائل التسع .

التنلونج : صيغة تلنج القديمة المشتقة من تلنجة التي كانت تؤلف الهند الشرقية والجنوبية . والتلنج او المون هم سكان برما المنخفضة الاصليون أو المهاجرون اليها من الهند .

توسط : توسط السماء : بلغ أوج ارتفاعه فيها .

تيامن : ذهب الى اليمين او كان في هذه الجهة .

تيومه : المقصود جزيرة تيومن مقابل الساحل الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة ماليزية .

ثلاج : كلمة هندية معناها بركة أو مستنقع .

جادم : بوق طويل يسمع صوته من بعيد ، وصفه دقيق في اخبار الصين والهند . ويعني اسمه الصيني «انبوب الاشارات» ، وقد حرفه التبتيون الى «جياد ونغ» ، ومنه اشتق لفظ جادم في اللغة العربية .

---

(١) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج ٧ ، الإقليم الثاني ، ص ١٨٣ - ١٨٤ ، طبعة نابولي رومة ، ١٩٧٠ .

جبال : صخور ناتئة او جزر في البحر .

الجترة : مظلة من ريش الطاووس .

الجربى : خنجر حاد جيد الصنع .

الجرز : قوم غزاة اصلهم من شمال الهند ، لهم فيما يبدو علاقة بالهياطلة أو الهون البيض ، أسسوا مملكة واسعة دامت من القرن السابع الى القرن العاشر وكانت بهيلمال عاصمتها . اعطوا اسمهم الى جوزرات (كجرات) . قاوموا الفتح الاسلامي ، فقيل لهم اعداء العرب .

جزيرة ابن كاوان : جزيرة مقابل ساحل فارس ، وهي القسم (سوفاجيه) . ويقول عنها الادريسي : وجزيرة ابن كاوان ، بينها وبين جزيرة كيش اثنان وخمسون ميلا ، وهو نصف مجرى . وجزيرة ابن كاوان مقدارها اثنان وخمسون ميلا في عرض تسعة أميال . واهلها شراة اباضية ، وفيها عمارة وزروع وغير ذلك .

جزيرة كله : انظر كلاه بار .

الجهاز : حمولة السفينة . السلع .

حامله النار : كلفه حملها على مشقة .

خانفو : اسم مدينة كانتون . حسب بيليو ، مأخوذ عن التسمية الصينية Kuang-fou ، التي تختصر كوانغ ـ تشيو ـ فو ، اي محافظة كوانغ تشيو . ويشك بعض الباحثين في هذا الاشتقاق ، لكنهم يسلمون بأن المقصود كانتون التي كانت تلعب دورا رئيسا في تجارة الهند البحرية في عهد سلالة تنغ . وكان يقطن فيها مائة الف عربي في حي الغرباء المفصول عن المدينة الصينية بنهر . ويتولى حاكم صيني السلطة في هذا الحي ، ويفض الخلافات بين سكانه حسب قانون بلدهم إذا كانوا من بلد واحد ، وحسب القوانين الصينية عندما ينتمون الى بلدان مختلفة . ويروي ابن بطوطة (١٣٠٣م ـ ١٣٧٧م) أن حي المسلمين كان متطورا في أيامه ويضم مسجداً وفندقاً وبازاراً ويخضع الى سلطة شيخ الإسلام . وقال

عنها ابو الفداء (متوفى سنة ٧٣٢ م) نقلا عن ابن سعيد : وهي ـ خانفو ـ مذكورة في الكتب ، وموضعها على شرقي نهر خمدان . وقال عنها ابن خرداذبة : وهي المرقى الأكبر وفيها فواكه كثيرة والبقول والحنطة والشعير والأرز وقصب السكر .

خراب البصرة : تقع البصرة قرب موضع الابلة . وقامت الابلة ذاتها في موقع اوبولو الواردة في النقوش الاشورية والبابلية . وذكرت الابلة باسم ابولوغو في كتاب الطواف حول البحر الاحمر . وقال المسعودي ان الابلة مدخل ميناء البصرة . اذن قطاع البصرة قطاع تاريخي قديم العهد . اما البصرة ، فحديثة نسبيا . اذ بنيت في خلافة عمر بن الخطاب سنة اربع عشرة على الارجح (١٤هـ/٦٣٨ م) .

وجاء عنها في الروض المعطار انها في مستوى من الأرض لا جبال فيها . وبها وحولها انهار كثيرة منها نهر الابلة الذي تتوزع على جانبيه قصور وبساتين نخيل متصلة . ويؤثر مد البحر وجزره في جميع انهارها : فعندما يدخل المد في فوهاتها ، تتراجع مياهها وتصب في البساتين وتسقيها ، ومتى جزر البحر عادت الانهار جارية حسب عادتها .

وازدهرت البصرة في عهد العباسيين ، واصبحت هي والكوفة مركزي الدراسات اللغوية العالية . لكنها احرقت في اثناء ثورة الزنج سنة ٢٥٧ هـ / ٨٧١ م ، وخربها القرامطة سنة ٣١٢هـ/٩٢٣ م . واصابها الانحطاط منذ منتصف القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي .

الخشنامي : معنى هذا اللفظ «طيب الاسم» . فهل جاءت طيبة هذا الجبل من وجود الفضة فيه ؟ وليست هذه الظاهرة وهمية لأن الهولنديين عثروا في جزر الكوريل على جبل تعطي تربته فضة متى اذيبت بالنار .

خمدان : عاصمة الصين الكبرى ومقر البغبور .

الخوص : ورق النخل .

دارا الكبير : داريوس الثالث كودومان . انتصر عليه اسكندر ذو القرنين وقتله قواده .

الدخريص : من القميص أو الدرع : واحد الدخاريص ، وهو مايوصل به البدن ليوسعه . اللفظ فارسي ، يقابله بالعربية البنيقة واللبنة والسبجة والسعيدة .

الدرا : لفظ فارسي معناه جرس .

الدرج : ماكتب عليه ولف مدروجا .

الدردور : يشرح الادريسي الدردور شرحاً وافياً ويقول عنه «الدردور موضع يدور فيه الماء كالرحى دوراناً دائماً من غير فترة ولا سكون . فإذا سقط اليه مركب أو غيره لم يزل يدور حتى يتلف . وهذا الماء موضعه يكون في جنوب جزيرة ابن كاوان . . . . وعندها الدردور المذكور وهو مضيق على مقربة من جبلي كسير وعوير ، تسلكه السفن الصغار ولا تسلكه السفن الصينية . وهذان الجبلان غائران تحت الماء لايظهر منهما شيء والماء يكسر على أعلاهما ، والربانيون يعرفون مكانيهما فيجنبونهما . وهذه الدردورات ثلاثة ، منها هذا الواحد ، والثاني بمقربة جزيرة قمار ، والدردور الثالث منها هو في آخر الصين» .

دهرم : ملك فيجوه في رأي فران . وهذه وجهة نظر رفضها سائر الباحثين الذين يرجح بعضهم ، ومنهم مينورسكي ، ان المقصود دهرما بالا (٦٦٧ - ٨١٥ م) من بالا البنغال وبيهار واوريسا (سوفاجيه) .

الدهنج : حجر اخضر في لون الزبرجد (القزويني ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، ص ٢٦١) .

دواء الصينيات : البرنيق الصيني .

الديبجات : جزر لاكديف ومالديف معا على الأغلب في رأي الادريسي والبيروني والمسعودي وابن بطوطة . فالادريسي يقول عنها : «جزائر الديبجات متصلة بعضها ببعض . وهي لا تحصى . وأكثرها خالية . واكبرها جزيرة

انبوبة ، وهي عامرة وفيها خلق كثير يعمرونها ويعمرون ما حولها من كبار الجزائر . ولجميع هذه الجزائر رئيس يجمعهم ويذب عنهم ، ويحامي عليهم ، ويهادن على قدر طاقته . وزوجته تحكم بين الناس، وتكلمهم ولا تستر عنهم ، والرئيس زوجها حاضر ، لايتكلم فيما تأمر به من جميع أوامرها وتحكيم النساء عندهم سيرة دائمة لاينتقلون عنها . . . وهذه الملكة وزوجها سكناهم من هذه الجزائر المذكورة بجزيرة انبوبة .

وبضائع أهل جزائر الديبجات المذكورة الذبل . . . وهذه الجزائر المعروفة بجزائر الديبجات عامرة بالناس . ويزرع فيها النارجيل وقصب السكر . وتجاراتهم بالودع . وبين الجزيرة والأخرى مسير ستة أميال واكثر وأقل . . واهل هذه الجزائر اهل صناعات بالأيدي حذاق نبلاء . من ذلك انهم ينسجون القميص مفروغا بكميه وبنائقه وجيبه . وينشئون السفن من العيدان الصغار ويبنون البيوت المتنقلة . .»

ويقسمها البيروني الى ديوه كوزه أي جزر الودع ، وديوه كنبار (والكنبار سلك يصنع من الياف النارجيل ، وتربط به اخشاب السفن) . ودبره كنبار واردة في كتاب العجائب باسم ديوه الكستج . ولفظ كستج مرادف لكنبار . ويؤكد ابن بطوطة أن أهل الديبجات يصدرون الودع والكنبار .

ديفو : في الأصل ، لقب احد كبار المربين المشرفين على تثقيف الامبراطور . ثم جرت العادة ان يحمله المفوضون الامبراطوريون الذين يراقبون الولاة او حكام المقاطعات . وهو مستعمل بهذا المعنى في اخبار الصين والهند .

الذبل : عظم ظهر سلاحف كبيرة ، تصنع منه شتى الادوات .

الرامني : تتوالى الجزر تباعا من الشرق (اندونيسية) الى الغرب باتجاه الهند . ومنها جزيرة الرامني . وهذا الاسم تحريف لـ لامبري أو لمبوري . ولامبري أو لمبوري مقاطعة قريبة من اتشه في طرف شمطرة الشمالي الغربي حسب يول . ونشر غروينفلدت حوليات صينية ، ايدت وجهة نظر يول ، جاء فيها ما يلي :

«تقع بلاد لمبري غربي شمطرة ، على مسافة ثلاثة ايام منها بريح طيبة . . ويحدها شرقا الليتاي (البتك) ، والبحر من الغرب والشمال ، ومن الجنوب جبال عالية وراءها البحر . . ويقع البحر ايضا الى جنوب غرب بلاد لامبري ، وفيه على بعد نصف يوم ، جبل مستو يسمى جزيرة القبعة التي يمتد المحيط الكبير المسمى محيط لامبري الى غربها وتعتبر السفن القادمة من الشرق هذه الجزيرة علامة لها . يستدل من هذا الوصف ان الرامني او لامبري كانت تقع على ساحل شمطرة الشمالي ، على مقربة من موقع مدينة اتشه . ويرى غروينفلدت ان جزيرة القبعة هي جزيرة فولوبراس التي ماتزال تعد اشارة من اشارات السفن في تلك الارجاء . ويطلق العرب اسم رامني على جزيرة شمطرة بأجمعها أحياناً (مرسيل ديفيك ترجمة عجائب الهند ، وسوفاجيه) .

رزق : مايعطى للعسكريين في اثناء وجودهم في الجيش من مال أو سواه .

الرهون : كلمة سانسكريتية معربة ، تدل على ما يسمى اليوم جبل قمة آدم .

الزابج : جزيرة جاوة قطعا . لكن لايعني هذا البت ان الجغرافيين العرب كانوا يقصدون جاوة على الدوام عندما يتحدثون عن «جزر الزابج» ، لأن كلامهم عن تلك الأصقاع في الشرق الأقصى يتخلله احيانا الابهام والالتباس . مع ذلك تثبت استشهادات عديدة ان الزابج هي جاوة . منها رحلة ابي طاهر البغدادي الى الزابج وزيارته فيها مدينة رقاوند (الصحيح مزفاويد بعد ازالة التصحيف) . لكن مزفاويد هذه احدى مدن جاوه . ومنها تعداد سلع جاوة وفيها العنبر المشهورة به جزيرة الزابج . ومنها اخيرا وجود جبل النار قرب الزابج .

زواريق : جمع زورق أي المركب الصغير .

الساخ : هذه هي المرة الاولى التي يشير فيها مصنف اجنبي الى شرب الشاي في الصين . واذا استثنينا البيروني ، لم يرد هذا الخبر في القرون الوسطى ، لا عند المؤلفين العرب ولا عند الرحالة الاوروبيين ، مع أن شرب الشاي معروف منذ القرن الثالث الميلادي في المقاطعات الجنوبية من الصين حسب

بيليو . ثم نشر الكهنة البوذيون هذه العادة في الشمال منذ سنة ٧٨٣ م/١٦٧ هـ ، واحتكرته الحكومة الصينية حوالي ٨٣٠ م/١١٦ هـ . ويعود ما يقال عن الشاي في أخبار الصين والهند الى الفترة الواقعة بين ٨٣٠ م/٢١٦ هـ و ٨٥٠ م/٢٣٦ هـ . أما الإسم العربي ساخ في المخطوطة ، فغريب ولا بد أنه تصحيف ، لأن اسم الشاي كان يلفظ «جاي» آنذاك .

السدنة : جمع سادن : خادم الكعبة وبيت الأصنام . والمقصود هنا خدام المعابد أو الهياكل الوثنية .

سربزة : يعتمد فان درليث في كتابه عجائب الهند ، على كتاب عجائب المسعودي . فيحدد موقع سربزة على طرف جزيرة لامري اي شمطرة الجنوبية الشرقية ، على طريق عمان ـ الصين ، ويجعلها على نهر يحمل اسمها تنطبق اوصافه على نهر موزي ، اعظم انهار شمطرة (نهر بالمبنغ) ، ويذكر ان اهلها يسكنون بيوتا خشبية مبنية على اطواف تطفو على وجه الماء . ويتحدث كثير من الجغرافيين العرب عن سربزة كياقوت وابي الفدا والادريسي ، لكن بأقوال متضاربة ، ويسمونها أحياناً سريرة خطأ . وكانت في القرن الثالث عشر مركزاً تجارياً هاماً يصدر الكافور .

سرنديب : أحد أسماء جزيرة سيلان ، اشتقاقه من سنغالا ديب . وسرنديب = ساران + ديب ، وساران = سنهالا ، ومنها جاءت تسمية سيلان ، التي شاعت في القرن ١٣ ميلادي ، واشتقت في رأي بعض الباحثين ، من لفظ سنهالا أو سيهالا ، ومعناه عرين الأسود . ومن هنا سميت أيضاً سيهالا دفيبا . ويعيد باحثون آخرون اشتقاق لفظ سيلان في اللغة الجاوية ، من كلمة سيلا التي تعني حجرا كريما ، بالتالي يصبح معنى تعبير بولوسيلان جزيرة الحجارة الكريمة . وتسمى سيلان باللغة الماليزية باتو سيلان اي جزيرة الحجر . أما اسم سيلان الأقدم ، فهو رنتادفيبا أي جزيرة الجواهر أو كما عرفت عند بعض العرب جزيرة الياقوت . (في القرن التاسع الميلادي) . ويسميها اليونان تابروبان . ويصفها

الادريسي على الوجه التالي : «ومن الجزاير المشهورة في هذا البحر المسمى هركند ، جزيرة سرنديب . وهي جزيرة كبيرة مشهورة الذكر . . وفيها الجبل الذي هبط عليه آدم . وعلى هذا الجبل وحوله توجد انواع اليواقيت كلها ، وأنواع من الأحجار وغيرها . وفي واديه الماس الذي يحاول به نقش الفصوص من انواع الحجارة . وعلى هذا الجبل ايضاً أنواع من الطيب وضروب من صنوف العطر مثل العود والأفاوية ودابة المسك ودابة الزبادة . وبها الأرز والنارجيل وقصب السكر . وفي أنهارها يوجد جيد البلور وكبيره . وبجميع سواحلها مغائص اللؤلؤ النفيس» .

السريّ : السيد الشريف السخي .

السفن الصينية : وصفت السفن الصينية بأنها كبيرة في أخبار الصين والهند ، لكن لم تعط تفاصيل عن مقاييسها . ونستطيع ان نأخذ فكرة صحيحة عن احجامها من كتاب ماهوان ، وعنوانه الوصف الشامل لسواحل المحيط (١٤٣٣ م) . فهذا المؤلف الصيني يتحدث عن سبع حملات صينية على سواحل بحر الهند ، ويحدد عدد قطع أساطيل ست منها وأبعادها :

الحملة الأولى : ٣٧٠ سفينة — الحملة الرابعة : ٦٣ سفينة
الحملة الثانية : ٢٤٥ سفينة — الحملة السادسة : ٤١ سفينة
الحملة الثالثة : ٤٨ سفينة — الحملة السابعة : ١٠٠ سفينة

وقد قيل أن أضخم سفينة طولها ٤٥٢ قدما ، وعرضها ١٨٣ قدما ، لكن يرجح الخبراء أن بناءها من خشب يفرض ألاّ يتجاوز طولها الأقصى ٣٠٠ قدم وعرضها الأقصى ١٥٠ قدما ، وحمولتها القصوى ٣١٠٠ طن ، يقابلها ٣٠٠ طن في الحد الأعظم لسفينة داغاما ، و٤٠٠ طن في الحد الأعظم للسفينة الانكليزية ، و٢٠٠ طن في الحد الأعظم للسفينة العربية ، علماً أن عدد الرجال في الحملة الواحدة يتراوح حوالى ٣٠٠٠٠ رجل . فإذا انتقلنا من القرن الخامس عشر الى القرن التاسع ، وحافظنا على نسب هذه المقارنة ، أدركنا أن

السفينة الصينية أكبر بكثير من السفن الأخرى ، لذلك لاتستطيع أن تسلك الطرق البحرية الضعيفة العمق .

السفط : وعاء كالقفة أو الجوالق (العدل من صوف أو شعر) .

سقوطرا : جزيرة كبيرة تبعد ٢٥٠ ميلا عن رأس فرتك و ١٥٠ميلا عن راس التوابل (جردافون) . اسمها هندي سانسكريتي (دفيبا سوخاذارا) ، معناه جزيرة النعيم . حرّفه اليونان وجعلوه ذيوسكوريذو ، واحتفظ العرب بـ (سوخاذارا) وجعلوها سقطرة باملاءات عديدة ، وقيل أيضا ان قصة جلجاميش تدور حولها . وذكر الطواف أن أهلها خليط من العرب والهنود والتجار اليونان . وأن لديها الذبل والزنجفر الهندي . ووصفها العديد من الجغرافيين العرب ، منهم ابو الفدا والادريسي ، ووضعها أحمد بن ماجد بين الجزر العشر الكبار . ووصف الادريسي لها في نزهة المشتاق يلخص جميع ما يدور حولها من الاقوال . وقد جاء على الوجه التالي " . . . جزيرة سقطرى التي ينسب الصبر اليها وبينها وبين الساحل مجريان بالريح الطيبة ، ويقابلها من بلاد اليمن مدينة مرباط وحاسك . . . واما جزيرة سقطرى ، فهي جزيرة واسعة القطر ، جليلة القدر ، بهية الأرض نامية الشجر ، واكثر نباتها شجر الصبر ، ولاصبر يفوق صبرها في الطيب كالذي يتخذ بحضرموت اليمن والشحر وغيرها . وهي كما قلناه تتصل من جهة الشمال والغرب ببلاد اليمن ، بل هي محسوبة منه ، ومنسوبة اليه . ويقابلها من جهة بلاد الزنج مدينة ملند ومنبسة . واكثر أهل مدينة سقطرى نصارى . والسبب في ذلك أن الاسكندر ، لمّا تغلب على ملك فارس ، وغزت أساطيله جزائر الهند ، وقتل قور ملك الهند ، وكان معلمه ارسطو طاليس قد أوصاه بطلب جزيرة الصبر ، فكان في بال الاسكندر ذلك من اجل وصية معلمه . فعند فراغه من اخذ جزائر الهند وتغلبه عليها وعلى ملوكها ، أخذ راجعا في بحر الهند الى جهة البحر العماني . وقد تغلب على تلك الجزائر الى أن وصل الى جزيرة سقطرى . فاعجبه منها طيب ثراها واعتدال هوائها فكتب

الى معلمه بذلك . فلما وصل الخبر الى ارسطو طاليس كتب اليه يأمره بأن ينقل اهلها عنها ، ويستبدلهم باليونانيين ، ويوصيهم بحفظ شجرة الصبر وحياطتها لما في ذلك من جمل المنافع الطبية ، وانه لاتتم الايارجات الا به مع انتفاع جميع الامم بأخذه وتصريفه ، ولأنه في ذاته دواء جليل كثير المنافع . ففعل الاسكندر ذلك ، واخرج عنها جملة اهلها ، ونقل اليها قوما من اليونانيين ، وامرهم بحفظ شجرة الصبر والقيام بها ، وغراستها وادامة تنميتها ففعلوا ذلك . وكانوا في صيانة وجمع أموال إلى أن ظهر دين المسيح ، فآمنت الأمم ، فدخل اهل سقطرى في دين النصرانية . وبقايا ذرياتهم بها الى هذا الوقت مع سائر من يسكنها من غيرهم .

وأوراق شجر الصبر تجمع في شهر يوليه . ويستخرج لعابها ويطبخ في قدور النحاس وغيرها ، ويوضع في زقاق ، ويجفف في شهر اوغست بالشمس . ويباع منه بهذه الجزيرة قناطير ، فيتجهز به الى سائر بلاد الله في المشرق والمغرب . وصبرها ينسب اليها وبها يعرف » .

وقصة الاسكندر وهم وفتحه جزر الهند وسقطرة غير صحيح . والمسيحيون فيها كانوا يعاقبة تابعين للحبشة ، ثم انقرضوا في القرن السادس عشر . وكانت سقطرة للمهرة في ايام احمد بن ماجد اذن تابعة لليمن . وما تزال .

سلاهط : كلمة ماليزية تعني المضيق . ومضيق ملاقة على وجه التخصيص . مهما يكن يقع هذا البحر ، بحر سلاهط ، شمالي جزيرة شمطرة ويغمر ساحلها هنالك ، ويسميه المسعودي بحر كله (سوفاجيه) .

سهوكة : رائحة كريهة .

السندروس : شجرة مشهورة بأرض الروم يتخذ من خشبها دهن ، هو دهن الصواني ، يدهن به الأخشاب . (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، زكريا القزويني ، ص ٢٩٣) .

سيراف : أهم ميناء في الخليج العربي من القرن السابع الى القرن الثاني عشر الميلاديين . اسمها الحالي الطاهري (٤٠′ ٢٧° عرض شمالي ، ١٢′ ٥٢° طول شرقي) . تقع على الساحل ، عند حضيض الجبال في منتصف الطريق بين بوشهر في الشمال الغربي وجزيرة قيس في الجنوب الشرقي . كانت غنية وقوية في القرن السابع يسافر منها الى الصين عن طريق مسقط . استمر ازدهارها حتى القرن الثاني عشر .

تحدث عنها العديد من الجغرافيين العرب ، منهم الاصطخري (متوفى ٣٤٧ هـ /٩٥٧ م) . وابن حوقل (متوفى ٣٦٧ هـ /٩٧٧ م) والمقدسي البشاري (متوفى ٣٨٠ هـ / ٦٦٠ م) ، والادريسي (متوفى ٥٧١هـ / ١١٦٥ م) ، وياقوت الحموي (متوفى ٦٢٧ هـ /١٢٢٦ م) ، وابو الفداء (متوفى ٧٣٢ هـ/ ١٣٣١ م) . فالاصطخري يقول ان سيراف تضاهي شيراز بحجمها وازدهارها ، وان بيوتها عدة طوابق مبنية من خشب الساج المستورد من بلاد الزنج . وكلام ابن حوقل قريب من وصف الاصطخري اذ يقول :

« . . . سيراف ، وهي الفرضة العظيمة لفارس . وهي مدينة جليلة ، وأبنيتها ساج ، وتتصل أبنيتها الى جبل يطل على البحر . وليس بها ماء يحمد ، ولا زرع ولا ضرع . وهي من أغنى بلدان فارس» . (صورة الأرض : ص ٥٤) . والمقدسي البشاري أدق وأوسع في أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم حيث جاء :

«سيراف هي قصبة اردشير خرة . وكان اهلها ، حين عمارتها ، يفضلونها على البصرة ، لشدة عمارتها ، وحسن دورها ، وظرف جامعها ، ولباقة اسواقها ويسار أهلها وبعد صيتها . وكانت حينئذ دهليز الصين دون عمان ، وخزانة فارس وخراسان . وعلى الجملة مارأيت في الإسلام أعجب من دورها ولا أحسن ، قد بنيت من خشب الساج والآجرّ ، شاهقة ، تشتري الدار الواحدة

بفوق المائة الف درهم . ثم انها خفت ، لما ولي الديلم ، وانجلوا الى سواحل البحر ، وعمروا قصبة عمان . ثم جاءت زلزلة سنة ٦٦ أو ٦٧ هـ (٦٨٥ أو ٦٨٦ م) ، فقلقلتها ، وحركتها سبعة أيام ، حتى هرب الناس الى البحر ، وتهدم اكثر تلك الدور ، وتفطرت ، وصارت آية لمن تأملها وعبرة لمن اتعظ بها . وسألتهم ما الذي صنعتم حتى رفع الله حلمه عنكم . قالوا : كثر فينا الزنا وفشا فينا الربا . قلت : فهل اعتبرتم بما ارى . قالوا : لا . وحدثت عن نسائهم بشيء قبيح ورأيت أهل فارس ، مع كثرة فسقهم يضربون بهم الأمثال . وأخبرت أنهم قد أخذوا في العمارة . وقد بدت ترجع الى ماكانت عليه . وهي باب جهنم من شدة الحر . والماء يحمل إليها من البعد . ولهم قناة صغيرة عذيبية . وفواكههم قليلة موضوعة بين الجبل والبحر . وماحولها فأرض قفر بالقرب منها نخيلات» . (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٤٢٦ - ٤٢٧) .

ويعطي الادريسي صورة حية عن سيراف وعن نشاطها البحري ، فيقول : «مدينة سيراف. هي على ساحل البحر الفارسي . وهي مدينة كبيرة ، وبها تجار مياسير ، وأهلها مولعون بكسب المال واستجلابه على أي وجه أمكن . وهم اكثر عباد الله تغربا وتجولاً في الآفاق ، حتى ان الرجل منهم يتجول العام والعشرين ، ولايرجع الى أهله ، ولا يكترث بمن خلفه . وسيراف فرضة فارس ومبانيها بالساج ، وأبنيتهم طبقات ، مشتبكة البناء ، كثيرة الأهل ، ولأهلها همم في نفقات الأبنية وضروب التحسين والتحصين . وفواكههم ، ومياههم تصل إليهم من جبل مشرف عليهم يسمى جم . وهذا الجبل مطل على البحر ، وليس به زرع ولا ضرع وهي شديدة الحر جدا،ولها منبران» (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص ٤١٠ - ٤١١) .

وقد رآها ياقوت الحموي ، «وليس بها قوم الا الصعاليك ، ما أوجب لهم المقام بها الا حب الوطن» ، ويقول : «وقد رأيتها ، وبها آثار عمارة حسنة ، وجامع مليح على سواري ساج . وهي في لحف جبل عال جدا . وليس

للمراكب فيها ميناء : فالمراكب ، اذا قدمت اليها كانت على خطر الى أن تقرب منها الى نحو من فرسخين ، الى موضع يسمى نابد ، هو خليج ضارب بين جبلين ، وهو ميناء جيد غاية . واذا حصلت المراكب فيه ، أمنت من جميع انواع الرياح . وبين سيراف والبصرة اذا طاب الهواء سبعة أيام . . . فمنذ عمر ابن عميرة جزيرة قيس صارت فرضة الهند ، واليها منقلب التجار ، وخربت سيراف وغيرها" (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥) .

وبذا تتم صورة سيراف على حقيقتها من القرن الثالث الى القرن السابع الهجريين .

ولايمكن الاحتجاج بابي الفداء للقول بأنها نهضت بعد خرابها لأن أبا الفداء ينقل ما قرأه عنها ، ولايصف وضعها في أيامه .

سيلا : قيل ان سيلا كوريا . اشتق هذا الاسم من سلالة سيلا التي حكمت تلك البلاد من سنة ٦٦٩ الى سنة ٩١٨ م بعد ان كانت مقسمة الى ثلاث ممالك (سوفاجيه) . وقيل أيضاً أن جزر سيلا هي اليابان (يول/كاثاي ، ج ١ ، ص ١٣١ وحاشية١) . والرأي الأول هو الصواب ، وعليه جمهور الباحثين .

الشحر : يضع الإدريسي أرض الشحر بين أرض حضرموت وبين بلاد عمان ، ويقول عنها : «ويتصل بارض حضرموت من جهة شرقيها أرض الشحر ، وبها قبائل مهرة، وهم عرب صرح . والإبل المنتجة عند هؤلاء العرب لا يعدل بها شيء في سرعة جريها . ومن غريب ماينسب إليها أنها تفهم الكلام ، وتعلم ما يراد منها بأقل أدب تعلمه . ولها أسماء اذا دعيت بها ، جاءت وأجابت من غير تأخير ولا توانٍ في ذلك . وقصبة أرض مهرة تسمى الشحر . ولسان أهل مهرة مستعجم جدا ، لا يكاد يفهم . وهو اللسان الحميري القديم . وأكثر هذه الأرض قفر ، لايعمرها إلاّ رواحل مهرة . وجل مكاسبهم الإبل والمعز . وجملة دوابهم التي في بلادهم تعتلف السمك المعروف بالوزق . يصاد في ذلك البحر من بلاد عمان ، وهو حوت صغير جدا ، يصاد ويشمس ، وتعلف به الدواب

والإبل وأهل مهرة لا يعولون على غيره من الأغذية . ومتى دخل أحدهم البلاد المجاورة لهم واكل شيئا من الحنطة ، وجد لذلك ألماً ، وربما مرض لذلك . ويقال إن طول بلاد مهرة تسع مائة ميل وعرضها في جميع طولها من خمسة وعشرين ميلا الى خمسة عشر ميلا الى مادون ذلك . وهذه الأرض كلها رمل سيال ، والرياح لاعبة به ، تنقله من مكان الى مكان . ومن آخر بلاد الشحر الى عدن ثلاث مائة ميل» (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص ١٥٤ ـ ١٥٥) .

ويتحدث دوارته بربوسه [1] ، المجلد الاول ، صفحة ٦٤ ـ ٦٦ ، عن الشحر ويقول عنها :«تقع مدينة الشحر المسلمة على الساحل ، وتتبع مملكة فرتك . وهي بلد كبير ، فيه العديد من التجارات ، لأن مسلمي كمباية وشيول ودابول وبادقله ومليبار ، يقصدونه بسفن محملة بثياب القطن النفيسة والخشنة المستعملة فيه على نطاق واسع ، وبالكثير من العقيق الاحمر المثقوب وأنواع الجواهر العادية ، والأرز ، والسكر ، والتوابل بأصنافها ، وشتى البضائع الاخرى . ويبيعون سلعهم بأسعار عالية من تجار الشحر الذين يحملونها الى عدن وسائر انحاء جزيرة العرب .

ويشتري التجار الهنود من الشحر باثمان بضائعهم خيولا ممتازة كبيرة وأصيلة ، تفضل خيول جزيرة هرمز . ويباع الرأس الواحد منها في الهند بخمسة الى ستة آلاف كروزودو ذهب (٦٠ غرام ـ الكروزودو) . ويشترون أيضا الكندر أو اللبان . وفي الشحر الكثير من القمح واللحم والتمر والعنب . ويقطن عرب متوحشون في داخل هذه البلاد .

---

(١) خدم دوارته بربوسه في دوائر الحكومة البرتغالية في الهند من سنة ١٥٠٠ الى سنة ١٥١٧ م وتوفي في جزيرة مكتان في الفيليبين سنة ١٥٢١ . الف كتابه من مشاهدات عيانية ، وعاصر الأحداث . لذلك يتميز وصفه للشحر بالدقة والواقعية بصرف النظر عن هنات تافهة لاتحط من قيمة معطياته على وجه الإجمال .

وترسو في بربره وفي الشحر جميع السفن القادمة من الهند الى بحر القلزم في وقت متأخر لايسمح لها باجتياز باب المندب . كذلك تلتجىء الى الشحر السفن الخارجة من بحر القلزم في طريقها الى الهند ، عندما تجد أن الرياح معاكسة لها ، لأنها تستطيع أن تقلع منها الى كمباية وهكذا تصبح الشحر مكلأ عظيماً لعدد كبير من السفن التي تحمل لبانها الى جميع انحاء العالم» وفي الشحر أيضاً عنبر وزعفران حسب المسعودي .

شرع . بان وظهر

شرق . شرق الامر : اختلط

شنك . كلمة سانسكريتية تعني صدفة . يقصد بها هنا صدفة بحرية كبيرة كانت تستعمل لصنع الخلاخل وابواق الجيش والاحتفالات الدينية .

شهدانج . نوع من النبات

صحار . يقول مؤلف مصنف «حدود العالم من المشرق إلى المغرب» (تاريخه ٣٧٢ هـ /٩٨٢ م) المجهول عن صحار : «هي خزانة العالم أجمع . وتجارها أغنى من تجار أي مدينة أخرى في العالم . وتحمل إليها جميع سلع الشرق والغرب والشمال والجنوب ، ثم تنقل منها إلى شتى الاماكن» . واعجب بها المقدسي البشاري (٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) ، فكتب عنها مايلي :

«صحار . هي قصبة عمان ، ليس على بحر الصين اليوم بلد أجل منه . عامر آهل ، حسن ، طيب ، نزه ، ذو يسار وتجار ، وفواكه وخيرات . اسرى من زبيد وصنعاء ، اسواق عجيبة ، وبلدة ظريفة ممتدة على البحر ، دورهم من الآجرّ والساج شاهقة نفيسة . والجامع على البحر له منارة حسنة طويلة في آخر الاسواق . ولهم آبار عذيبية ، وقناة حلوة . وهم في سعة من كل شيء . دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ، ومغوثة اليمن . قد غلب عليها الفرس . المصلى وسط النخيل ، ومسجد صحار على نصف فرسخ» . (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ٩٢) . ويشير الا .ريسي (٥٧١ هـ / ١١٦٥ م) إلى

ازدهارها في الماضي وإلى انحطاطها في ايامه فيقول : «ومدينة صحار على ضفة البحر الفارسي . وهي اقدم مدن عمان ، واكثرها اموالاً قديماً وحديثاً ، ويقصدها في كل سنة من تجار البلاد ما لا يحصى عددهم . وإليها يجلب جميع بضائع اليمن . ويتجهز منها بانواع التجارات . وأحوال أهلها واسعة ، ومتاجرهم مريحة ، وبها نخل كثير ومن الفواكه الموز والرمان والسفرجل وكثير من الثمار العجيبة الطيبة . وكان في القديم من الزمان تسافر منها مراكب الصين . فانقطع ذلك»(نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص ١٥٦) .

الصمر (الثياب) . تصنع المذاب من الحرير أو ريش الطاووس أو شعر ذنب الياك (القطاس) أو القطن . ويمكن اعتبار صمر كلمة سانسكريتية معناها مذاب ، فيصبح (سوفاجيه) معنى التعبير أقمشة المذاب . ويجوز أيضاً أن تكون صمر تصحيف صيمور أي شيول المشهورة باقمشة القطن وتعاملها بها مع الشحر .

صنخي . **الصين** (عجائب الهند ، ص ٢٢٠ ، حسب فان درليث وكورديه) .

صندل . شجرة هندية . والصندل نوعان أحمر وأبيض . والاحمر رخو الخشب وطيب الرائحة (المقريزي ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، ص ٢٩٤) .

صنف . تشمبا التي كانت مملكتها تمتد بين البحر والجبل على طول الساحل الشرقي من الهند الصينية .

صنف فولاو . يرجع سوفاجيه إلى النصوص الصينية ، ويعتبر أن صندر فولات تصحيف تشان بولاو أي جزيرة تشان (تشمبا) مقلوبة التركيب، ومنها صنف فولاو . وهذه الجزيرة جبل علوه ٥١٨ متراً ، وفيها مراسي وماء عذب ، وتشاهد من بعيد في الصحو .

طاطرية (دراهم) . العملة المتداولة في مملكة الجرز حسب ابن رستة ، الذي يقول عنها :

«ومعاملتهم (مملكة الجرز) لهم (للعرب) بالذهب القطع ، والدراهم التي يقال لها الطاطري ، عليها تمثال صورة الملك ، وزنها مثقال» (الاعلاق النفسية ص ١٣٥) . مع ذلك يظن سوفاجيه أن هذه الدراهم لارية .

الطاقي . كاشمير حسب سوفاجيه

طسوشي . لقب محافظ المدينة

طوقام . رئيس الخصيان حسب تركيب الكلمة اللغوي : طو - رئيس ، قام - خصي

عجّل . دفع نقداً ومباشرة

العطاء . مخصصات فرد من أفراد الجيش كالراتب وما شابه .

عطار . بائع الاطياب وما إليها

العفو . ما يفضل عن النفقة ولا عسر على صاحبه إن أعطاه .

عقاب . جمع عقبة ، أي المرقى الصعب

عمان . يحدد الادريسي امتداد عمان على ساحلي بحر العرب والخليج العربي ، ويقول :«ويتصل بأرض المهرة (اي ارض الشحر) بلاد عمان وهي مجاورة لها في جهة الشمال . . . ويتصل بارض عمان من جهة الغرب مع الشمال أرض اليمامة وهي بلاد زرقاء اليمامة . ويستأنف حديثه عنها على الوجه التالي : وبلاد عمان مستقلة بذاتها ، عامرة بأهلها ، وهي كثيرة النخل والفواكه الجرومية من الموز والرمان والتين والعنب ونحو ذلك . ومن بلاد عمان مدينتا صور وقلهات . . . وهي بالجملة بلاد حارة . . . وبين نجد وبلاد عمان براري متصلة » . ويصف باختصار مدن مسقط وصحار وسعال والعفر ونزوة ومنح وسر وجلفار وبثرون» (نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ص ١٥٤ - ١٥٩) . وجاء في صورة أرض ابن حوقل ما يلي عن عمان : «وعمان ناحية ذات أقاليم مستقلة بأهلها ، فسحة ، كثيرة النخل والفواكه الجرومية من الموز والرمان والنبق ونحو ذلك . وقصبتها صحار ، وهي على البحر ، وبها من التجار والتجارة

ما لا يحصى كثرة ، وهي أعمر مدينة بعمان ، وأكثرها مالاً . ولا يكاد يعرف على شط بحر فارس بجميع الاسلام مدينة أكثر عمارة ومالاً من صحار . ولها مدن كثيرة ويقال أن حدود أعمالها ثلاثماية فرسخ . . . وعمان بلاد حارة وجرومية» . (ص ٤٤ ـ ٤٥) . وتحدث المقدسي البشاري عن عمان بصورة اجمالية جداً ، فقال : «وأما عمان فقصبتها صحار ، ومدنها نزوة ، السر ، ضنك ، حفيت ، دبا ، سلوت ، جلفار ، سمد ، لسيا ، ملح» (ص ٧٠ ـ ٧١) ثم يعطي تفاصيل عن صحار (ص ٩٢) ، وينتقل إلى لمحة موجزة عن باقي المدن : بركت ، نزوة ، السر ، ضنك ، حفيت ، سلوت ، دبا ، جلفار ، ملح ، ويزيد عليها برنم والقلعة وضنكان والمسقط وتوام ، ويختم بمايلي : «وعمان كورة جليلة ، تكون ثمانين فرسخاً في مثلها ، كلها نخيل وبساتين ، عامة سقياهم من آبار قريبة ينزحها البقر ، أكثرها في الجبال . وأهل هذه المدن التي ذكرنا عرب شراة» (أحسن التقاسيم ، ص ٩٢ ـ ٩٣) .

عنقتوس . نوع من السمك المفترس في بحر لاروي . يسميه الادريسي العنقريس (ص ٦٥)

العود . نوع من الطيب يتبخر به ، ويسمى أحياناً المندل أو المندلي نسبة إلى بلد في الهند واللفظ ترجمة عن اللغة الماليزية (كايو) .

عوير وكسير . جبلان (جزيرتان غامرتان) في مدخل الخليج العربي ، غائران تحت الماء ، لا يظهر منهما شيء ، والماء يكسر اعلاهما . والربانيون يعرفون مكانيهما فيجنبونهما» (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص ١٦٤) .

عين البلاد . عملها

غب . الغب الجون ، ومصب النهر العريض . واغباب سرنديب «اجوان تقع فيها الانهار ، وتدخلها المراكب السيارة ، وتمر فيها الشهر والشهرين بين غياض ورياض وهواء معتدل» (نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ص ٧٤) .

الغضارة . الصحفة المتخذة من الغضار وهو نوع من الطين المستعمل في صنع الخزف .

الفرق . في الاصل جماعة النحل . هنا جزر متجمعة مثل خشرم النحل .
الفكوج . الف فلس من عملة الصين النحاسية تساوي ديناراً ذهباً واحداً .
فلج : فاز على خصمه .
الفلس . جمعة فلوس : عملة الصين المسكوكة من النحاس والمثقوبة . كل الف فلس منها مجموعة في خيط واحد وتساوي مثقالاً ذهباً أو ديناراً وزنه أربعة غرامات ذهب وربع غرام .
فنصور . هكذا جاءت التسمية في كتاب حدود العالم وفي تقويم البلدان ، خلافاً للتسميات الصينية :

ين - سو ، يان - تسو ، يان - تسو - أول . وهي مقاطعة على ساحل جزيرة شمطرة الجنوبي .
الفوطة . قماش يتمنطقون به دون أن يفصل لباسا .
قامرون . جاء في تقويم البلدان (ص ٣٦١) : «وجبال قامرون حجاز بين الهند والصين . وجبال قامرون المذكورة هي معدن العود» . المقصود أسام .
القلانس . جمع قلنسوة . وهي نوع من ملابس الرأس ، له أشكال عديدة .
القلب . القلب من الجيش وسطه
القلس . حبل ضخم يستعمل في السفن
القمار . خمير أو كمبوديه
قنوج . مدينة واقعة بين ذراعين من نهر كنك (الغانج) (تقويم البلدان ، ص ٣٦١) . قال عنها الادريسي إنها «مدينة كبيرة حسنة كثيرة التجارات ، وبها يسمى الملك المسمى القنوج» (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص ١٩٣) .
قهرمان . جمعها قهارمة . امناء الملك وخاصته ، كالخازن والوكيل . اللفظ فارسي .
الكافور . شجرة كبيرة هندية . . . . وهي سفحية بحرية خشبها ابيض هش خفيف ، صمغها كافور ، ويسيل من أسفل الشجرة . قال محمد بن زكريا :

الكافور صمغ هذه الشجرة ، إلا أنه في داخلها يثقب أعلى الشجرة ، فيسيل منه الكافور عند الحرارة ، ويثقب أسفل من ذلك ، فيخرج قطع الكافور .

الكستج . الودع كعملة

كسير وعوير : انظر عوير وكثير

كلاه بار . هي كله ذاتها (فان درليث وكورديه ، العجائب ، ص ٢٥٨) . وكله أو كلاه بندر قديم هام في شبه جزيرة ملاقة لم يبق له أثر ، تتحدث عنه المصادر الصينية والعربية خاصة ابن خرداذبه ، وابن الفقيه ، والمسعودي ، والادريسي ، وياقوت ، والدمشقي ، والقزويني ، وابا الفداء وابن الوردي وابن سعيد . ومما قاله عنها الادريسي : «وهي جزيرة كبيرة يسكنها ملك يسمى حبابة الهندي . وبهذه الجزيرة معدن الرصاص القلعي . وهو بها كثير ، صافي الجوهر ، والتجار يغشونه بعد خروجه عنها . ومنها يتجهز به إلى جميع الارض . ولباس أهلها الفوط ، يلبس الرجل والمرأة فوطة واحدة . وبهذه الجزيرة منابت الخيزران وبها الكافور الجيد . . .» . (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق . ص ٨٠) .

كمكم . كنكانا بالسانسكريتية ، وهي الساحل الممتد من منبيه إلى جوه سندابور . اشتهرت بخشب الساج الذي كان العرب يحملونه بكميات هائلة إلى جزيرة العرب والعراق .

كندرنج . باندرونجة حسب فران . كانت في القرن التاسع عاصمة سلطنة تابعة لمملكة الصنف ، ويحكمها نائب ملك .

كواشح . جمع كاشح : العدو الباطن العداوة كأنه يطويها في كشحه .

كولم ملي . كولم مليبار . كولم باختصار : كيلون الحديثة . ذكرها ابن الفقيه (مختصر كتاب البلدان ، ص ١١ ـ ١٢) وياقوت الحموي (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٤٥٥) ، والدمشقي نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص ١٧٣) ، وابو الفداء (تقويم البلدان ص ١٧٣) وابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، ج ٤ ، ص ٩٩ ـ ١٠٠) ، اضافة إلى ابن

حرداذبه والادريسي والقزويني .

الكوشان . قدير مطبوخ مع الارز والسمك . وهو أيضاً نوع من المرق

لاروى (بحر) . القسم الشمالي من بحر العرب الشمالي ، مقابل شبه جزيرة كاثياوار .

لبان . شجرة ذات شوك ، لا تنمو أكثر من ذراعين . وهي شجرة لا تنبت في الجبال . . . ورقها كورق الآس ، صمغها هو الكندر . يعقر مواضع منها بالفوؤس ، فيسيل منها الكندر ، ويقال له أيضاً اللبان . (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، ص ٣٠١) .

اللخم . بضم اللام . ضرب من سمك البحر يقال له القرش ، ويقال له الكوسج (لسان العرب) .

لسان السحاب . يحيل سوفاجيه إلى لوبريدور في وصف هذا السحاب على الوجه التالي : «عندما يشاهد تشكل اعصار عمودي على مسافة قريبة ، يظهر مخروط مقلوب يتجه رأسه نحو البحر ، نازلاً من الغيوم الداكنة . وفي الوقت ذاته ، يرتفع مستوى البحر تحته . . . . ويندفع منه مخروط صغير يتصل بالمخروط العلوي . فتنشأ حركة دائرية في موضع صغير من وجه البحر من جراء تأثير قوة كهربائية أو زوبعة صاعدة . . وفي تلك الاثناء ينتثر الجانب الاعظم من ماء الإعصار ذراتٍ دقيقةً إلى أقصى حد ، تشبه الدخان أو البخار ، محدثة ضجيجاً عظيماً .

ولا تتسم هذه الاعاصير بالخطورة التي يتصور بعض الناس انها تسكب عند انحلالها ما يكفي من الماء لاغراق السفن . أنا لا أوافق على هذا الرأي ، وأظن المركب الصغير وحده يترنّح ، إذا كانت أشرعته مرفوعة» .

لسان من **الأرض** . شبه جزيرة كاثياوار .

لشك . اللشك . حسب الادريسي (ص ٣٦) دابة من دواب الليل مسلطة على السقنقور .

أما السمكة الصغيرة المسلطة على البال ، فتسمى اللشنك عند الادريسي (ص ٦٥) الذي يروي القصة ذاتها .

لقشي صامكون . لقب المدير الاداري الموثق . التسمية العربية مختصرة عن اللفظ الصيني المستعمل في عهد سلالة تنغ : لق - شي - تسام - جيون - شي .

لكشمبير. تعريب اللفظ السانسكريتي لكشمبيوره، ومعناه مدينة الآلهة لكشمي ، حسب فران .

لنجبالوس . جزر نيكوبار

لنجون . تعريب لي - كي : حاكم المقاطعة .

ما بين المغرب وبنات نعش : إشارة الى الدائرة النجمة .

المادبد . سوفاجيه يعتقد أن المقصود البد الاسفل أي التبت الشرقية

المتاع . كل ما ينتفع به الانسان ، ومنه معنى السلعة (لسان العرب) .

المثقال . أربعة غرامات ذهب وربع غرام

مخرمو الآذان. مثقوبو الآذان .

المخزمون . المثقوبو الانوف التي وضعت فيها خزامة أي حلقة شعر

مجهزة الاذناب . محذوفة الاذناب أي مقطوعتها ، لأن هذا كان شأن بغال البريد

المذاب . جمع مذبة ، وهي ما يدفع بها الذباب عن النفس

مراكب سيراف . سفن الخليج وبحر الهند المخروزة

مراكب الشام. سفن بحر الروم المسمرة

مرقا . مروراً سريعا

مسقط . وصفها دوارته بربوسة بأنها مدينة كبيرة تصطاد السمك وتصدره إلى شتى البلدان . وساواها الادريسي قبله بصحار (ص ١٥٦) وعلل توقف تعاملها مع الصين هي وصحار ببروز دور جزيرة قيس (كيش) .

المسلحة . المرقب فيه جماعة مسلحون مكلفون بمهام رسمية خاصة كالدفاع أو استيفاء ضرائب

معدن الجوهر : منبته ، مكان وجوده .
المعلم : مخطط مثل حمار الزرد .
مغاص اللؤلؤ . أماكن الغوص لصيد اللؤلؤ . أشهرها ما كان في الخليج العربي . أما حول سرنديب فقد فقدت أهميتها منذ أيام البيروني (متوفى سنة ٤٤٠ هـ /١٠٤٨ م) على حد قوله . مع ذلك تحدث عنها الادريسي (٥٧١ هـ /١١٦٥ م) بعد البيروني بقرن ونيف ، وقال عنها :

«وبجميع سواحلها مغائض اللؤلؤ الجيد النفيس الثمن» (نزهة المشتاق ، ص ٧٣) .

وأشار إليه بلينس الاكبر قديما (متوفى سنة ٧٦ م) .

مكنسة . لعلها شبيهة بكناس الظبي ؟ تضميناً للتستر او مستخة؟
ملجان . قد تكون إحدى جزر اندمان أو مرجي .
ملكا سرنديب . احدهما سرنديبي والآخر تامولي على الارجح ، مثلما كان الوضع في مطلع القرن السادس على حد قول كوزماس انديكوبلوست .
المنارة العظيمة . لا ينفث الحوت ماءا ، بل بخاراً يتكاثف ويمكن أن يرتفع ١٥ متراً (سوفاجيه) .
المند . العنبر النتن
المنصورة . ذكرها ابن حوقل (ص ٢٧٧) والمقدسي البشاري (ص ٤٧٩) والمسعودي (المروج ،ج ،١ ، ١٨٩ - ١٩٠) ، ومعجم البلدان (ج ٥ ،ص ٢١١ - ٢١٢ نقلاً عن المسعودي والمهلبي) وأبي الفداء ، (ص٣٥١) . ومعلومات هؤلاء الجغرافيين عنها وارد معظمها عند الادريسي حيث يقول : «والمنصورة مدينة يحيط بها ذراع من نهر مهران ويبعد عنها وهي على معظم مهران من الجانب الغربي . . . ومقدار المنصورة في الطول نحو ميل في عرض ميل . وهي مدينة حارة بها نخل كثير وقصب سكر ، وليس لهم شيء من الفواكه إلا نوع من الثمر على قدر التفاح يسمونه الليمونة ، وهو

حامض شديد الحموضة . ولهم فاكهة أخرى تشبه الخوخ وتقاربه بالطعم . ومدينة المنصورة محدثة بناها المنصور من بني العباس في صدر ولايته ، فنسبت إليه . . . والمنصورة مدينة كبيرة فيها بشر كثير وتجار مياسير وأموال ماشية ، وزروع وحدائق وبساتين ، وبناؤها باللبن والآجر والجص . وهي فرحة المساكن . ولأهلها نزاهات وأيام راحات . والتجار بها كثيرون ، والأسواق قائمة ، والأرزاق دارة ، وزيهم ولباس عامتهم زي العراقيين . وملوكهم يتشبهون بملوك الهند في لباس القراطق واسبال الشعور . ودراهمهم فضة ونحاس ، ووزن الدرهم عندهم خمسة دراهم ، وربما جلبت إليهم الدراهم الطاطرية فيتعاملون بها . ويصاد بهذه المدينة حوت كثير ، واللحم بها رخيص ، والفواكه مجلوبة إليها ، وبها أيضاً فواكه . واسم المنصورة بالسندية باميرمان. (نزهة المشتاق ، ص ١٦٨ - ١٦٩) .

المهراج . لقب ملك الزابج

الموجه . هم الموتشا ، قوم مستقرون في يونان الصين أو ستشوان الجنوبية الغربية في عهد سلالة تنغ (سوفاجيه) .

المولتان . الاملاء الغالب ملتان . ذكرها ابن حوقل (ص ٢٢٧) والمقدسي البشاري (ص ٤٨٠) والمسعودي (ج ١ ، ص ١٨٩ - ١٩٠) ، ومعجم البلدان (ج ٥ ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ ، نقلاً عن الاصطخري) ، وأبو الفداء (٣٥١) . ومعلومات هؤلاء الجغرافيين عنها واردة معظمها عند الادريسي الذي يقول عنها : «ومدينة الملتان مجاورة لبلاد الهند . وهي مدينة نحو المنصورة في الكبر ، وبعض الناس يجعلها من بلاد الهند وتسمى فرج بيت الذهب . وبها صنم يعظمه أهل الهند ، ويحجون إليه من أقاصي بلدانها ، ويتصدقون عليه باموال جمة وحلي كثير ، وطيب ، وشيء يقصر الوصف عنه ، تعظيماً له ، واجلالاً . وله خدام وعباد يأوون إليه ، وينفقون ، ويلبسون من ماله المتصدق به عليه . وسميت الملتان باسم الصنم . . . (وصف الصنم) . . . وبيت هذا

الصنم في وسط الملتان ، وباعمر سوق فيها . وهو قبة عظيمة مزخرفة منمقة ، قد اتقن بنيانها ، وشيدت عمدها ولونت صنعها ، واوثقت أبوابها ، والصنم فيها . وحول القبة بيوت مبنية يسكنها خدام هذا الصنم ومن يعتكف عليه . وليس بالملتان من الهند والسند قوم يعبدون الاوثان إلا هؤلاء الذين في هذا القصر مع هذا الصنم . وغير ذلك من أهل الهند والسند إنما يحجون إليه تعظيماً له ولما عاينوه من أمره . . »(نزهة المشتاق ،ص ١٧٦ - ١٧٧) .

الميج . كلمة فارسية معناها الجراد

الميسرة . جناح الجيش من جهة اليسار

الميمنة . جناح الجيش من جهة اليمين

النارجيل . هو الجوز الهندي

ناقوس . (يضربون بالنواقيس) . احداث الضجيج لابعاد الحيتان عادة قديمة ذكرت في رحلة نيارخس أمير البحر في جيش اسكندر ذي القرنين عند مروره في الخليج العربي .

نبغ . فشا الشر وظهر . النابغ الشرير .

نواخذة العرب . أصحاب السفن العربية الذين كانوا يسافرون إلى الصين وقتلوا في خانفو

النوافج . جمع نافجة وعاء المسك

النيان (جزيرة) . بولونيحا باللغة الماليزية(جزيرة الرجال) مقابل الساحل الجنوبي في شمطرة

هرّاب . يبدو أنه جمع هارب

هركند (بحر) . خليج البنغال

يانشو . الثائر الصيني في عهد الامبراطور هي تسونغ ، واسمه الحقيقي هوانغ - شاو

اليسارة . المطر . إشارة إلى الأمطار الموسمية التي ترافق الرياح الموسمية .

المراجع والمصادر الرئيسة

اولا - المراجع والمصادر العربية

ابراهيم بن محمد الفارسي ، أبو اسحاق الاصطخري ، كتاب المسالك والممالك ، لايدن
احمد بن عمر ، ابو علي ، ابن رسته كتاب الاعلاق النفيسة ، لايدن ١٨٩١ .
احمد بن محمد بن اسحاق بن ابراهيم الهمذاني ، ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، لايدن ، ١٨٩١
اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بابي الفداء تقويم البلدان ، نص عربي ،م . رينو ومالك كوكلين دي سلين ، باريس ١٨٤٠ .
اغناطيوس يوليانوفتش كرتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، مراجعة ايغور بليايف ، القاهرة ١٩٦٣ .
زكريا القزويني ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، تحقيق فاروق سعد ، بيروت ١٩٨٨ .
عبيد الله احمد بن خرداذبة ، كتاب المسالك والممالك ، لايدن
علي بن الحسين بن علي ، ابو الحسن المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر بيروت ، ١٩٦٥
محمد بن احمد بن ابي بكر البناء ، المقدسي البشاري احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم بيروت ١٩٠٦ .
محمد بن حوقل البغدادي الموصلي كتاب صورة الارض ، لايدن
محمد بن محمد عبد الله بن ادريس الحمودي الحسني ، أبو عبد الله الشريف الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، نابولي - رومة ، ١٩٧٠ - ١٩٧٤ .
ياقوت الحموي . كتاب معجم البلدان ، ٥ مجلدات ، بيروت مكتبة صادر .

ثانياً - المراجع والمصادر الاجنبية

Barbosa, The Book of Duarte Barbosa. An account of the countries bordering on the Indian Ocean and their inhabitants, A.D. 1618, Translated by Mansel Longworth Dames, WHS, XLIV, 2 parts . London, 2nd edition, 1918, 1921.

Bowry, Th., A Geographical Account of the Countries Round the Bay of Bangal, 1669 to 1679, ed.Richard Carnac Temple, WHS, 2nd series, XII, Cambridge, 1903.

Cathay and the way thither, being a collection of Mediaval Notices of China, translated and edited by H.Yule, revised by H.Cordier, WHS, 4 vol.2nd series, XXIII, XXXVII, XXXVIII, XLI, 1915-1916.

Hobson - Jobson, A Glossary of colloquial anglo-indian words and phrases and of Kindred terms, etymological, historical, geaographical and discursive, by H. Yule and A.C. Bru nell, London, 1903.

Sirafi, Abu Zayd, Relations des voyages faits par les Arabes et les persans dans l'Inde et à la Chine (Silsilat at-tawā rih), the account of Sulayman the Merchant written in A.D.851 and completed by Abu Zayd Hasan towards A.D. 916, Arabic Text by Langlès (1811) with commentary and french translation by M. Reinaud, 2 vols., Paris, 1845.

Sulayman the Merchant, Relation de la Chine et de l'Inde, rédigée en 851, Arabic text, french translation and notes by Jean Sauvaget, Paris, 1948.

Défrémy C. and Sanguinetti, B.R., Voyages d'Ibn Battoutah, 4 vols, Paris, 1853-58.

The Periplus of the Erythraean Sea, by an unknown author, with some extracts from Agatharkhides on the Erythraean Sea, translated and edited by G.W.B. Huntingford, London, 1980.

Ma Huan, YING-YAI SHENG-LAN, the Overall Survey of the Ocean's Shores, 1433, translated from the chinese text, edited by Feng Ch'eng-Chin, with introduction notes and appendices by J.V.G.Mills, Cambridge, 1980.

فهرس أسماء الرجال والأمم وألقابها

(يحيل الرقم الأول إلى الصفحة والرقم الثاني الى سطرها)

فهرس أسماء الأماكن الجغرافية

(يحيل الرقم الأول إلى الصفحة والرقم الثاني إلى سطرها)

فهرس المواد

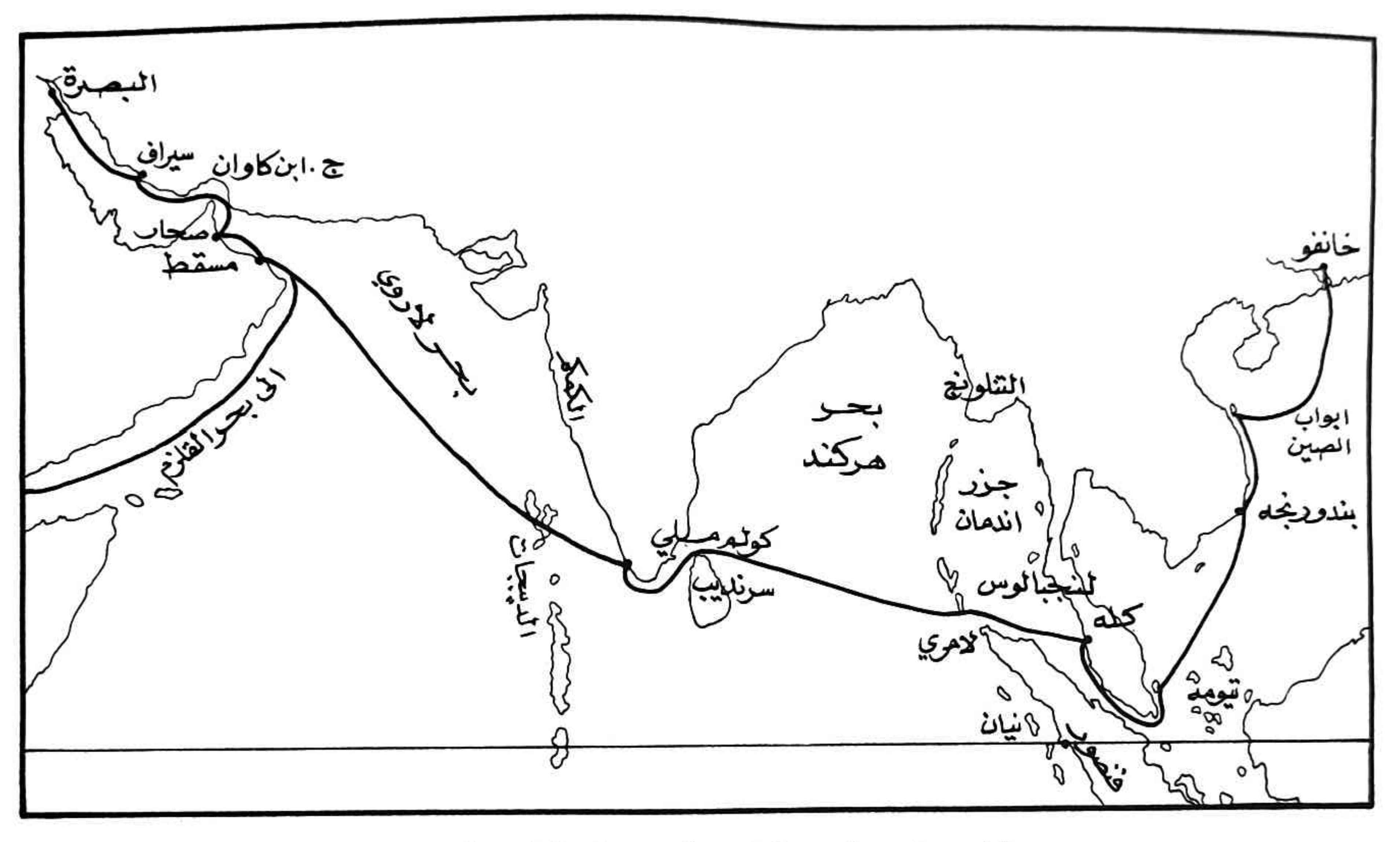
اخبار بلاد الهند والصين أيضاً وملوكها

الكتاب الثاني

من أخبار الصين والهند

رجع الى اخبار الصين
ذكر بعض أمورهم

بعض اخبار الهند



مصور الطريق البحرية من الخليج العربي الى القلزم والهند والصين

دائرة المعارف الهندية

سلسلة دراسات وأبحاث ونصوص تتعلق بتأريخ شبه القارة الهندية صدر منها :

١ ـ تحفة المجاهدين في احوال البرتغاليين :
للشيخ احمد زين الدين المعبري المليباري المتوفى بعد سنة ٩٩١هـ قدم له وحققه وعلق عليه : محمد سعيد الطريحي .
طبع في بيروت (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م) ٣٦٥ صفحة .

٢ ـ عجائب الهند بره وبحره وجزائره تأليف : بزرك بن شهريار الرامهرمزي (صنفه حدود سنة ٣٣٩هـ ـ ٩٥٠هـ) .
تحقيق : محمد سعيد الطريحي ، بيروت (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م) ١٣٠ صفحة .

٣ ـ تحية الهند (مجموعة لنخبة من الشعراء العرب) اعداد : محمد سعيد الطريحي
تقديم : عمر ابو ريشة . دمشق (١٩٨٩م ـ ١٤١٠هـ) طبعتان .

٤ ـ أخبار الهند والصين : تأليف سليمان التاجر وأبي زيد السيرافي
تحقيق : ابراهيم خوري دمشق (١٩٩٠م ـ ١٤١١هـ) ١٤٤ صفحة .

الطّبعة الأولى

١٤١١هـ - ١٩٩١م

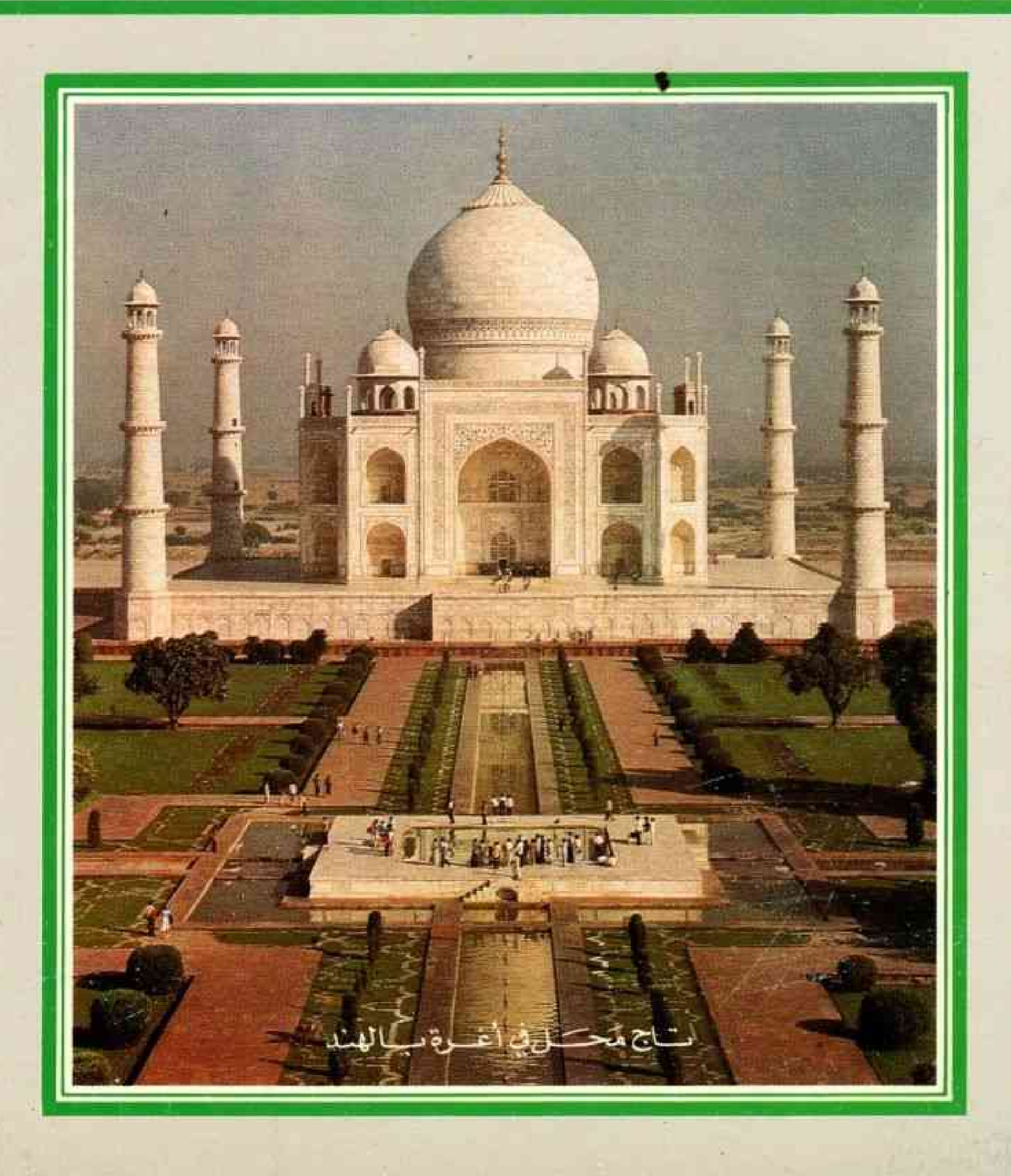
مطبوعات دار الموسم للاعلام



بيروت - لبنـــان - ص.ب ٥١٤٤ - ١١٣

هذا الكتاب

يعود هذا الكتاب الى القرن الثالث الهجري ، ويعرض ازدهار الملاحة العربية البحرية والتجارة الدولية في المحيط الهندي بين الخليج العربي والهند والصين والبلدان الواقعة بينهما ، ويبرز خروج الصين من التبادل الدولي اثر اضطرابات شاملة نشبت في جميع أرجائها . فهو وثيقة نفيسة . تبحث بإيجاز بليغ ، أوضاع الدول المشرفة على بحر الهند ، الاقتصادية والسياسية والاجتماعيّة لألف سنة خلت ونيف .



تاج محل في أغرة بالهند